جامعة مولود معمري – تيزي وزو–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

–تامدة–

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

دور التعليم في نهضة مصر خلال حكم محمد علي باشا 1805-1848م

مذكرة نيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث

إعداد:

- حيزية زيات
- رابح زرزور

إشراف الأستاذ الدكتور:

عزيز خيثر

السنة الجامعية 2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بداية الحمد الله الذي هدانا الى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فالشكر لله على نعمة توفيقه لنا لإتمام هذا العمل.

أتقدم بفائق الشكر والعرفان لروح أبي الطاهرة، والذي لم يبخل علينا في حياته لا بالدعاء ولا بالمساندة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان والعرفان للأستاذ الفاضل عزيز خيثر، والذي أشرف علينا في هذا العمل رغم التزاماته الكثيرة الا انه أثبت وجوده ووقوفه على كل صغيرة وكبيرة، فشكرا مجددا، مع تمنياتي له بدوام الصحة والعافية والتميز.

كما أتقدم بخالص الامتنان لكل من ساهم في هذا العمل من أساتذة وأصدقائي الطلبة

وشكرا

إهداء

أحمد الله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل، وأسأله عزّ وجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يوفقني لما يحبه ويرضاه.

أهدي هذا العمل الى من علمني أن العلم تواضع، والعمل ايمان، والنجاح إرادة

والحياة عمل، أمي الجميلة حفظها الله وأطال عمرها.

الى من اجل اسمه بكل افتخار، صاحب القلب الكبير، والدي العزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الى من كبرت وتربيت معهم، اخوتي واخواتي.

الى كل الأصدقاء والصديقات التي جمعتني الدراسة معهم.

الى من شاركني هذا العمل وتحمل معي الصعاب، زرزور رابح.

كما اهدي هذا العمل لكل الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة.

الى جميع أساتذتنا الأفاضل، الى كل هؤلاء أهدي عملي هذا.

حيزية زيات

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى أستاذي المشرف – عزيز خيثر –الذي أنار لي الدرب لإتمام هذا العمل بوقوفه على كل صغيرة وكبيرة.

أسرتي العزيزة، خاصة أمي وأخي، لصبرهم وتحملهم معي معاناة البحث.

والى الأستاذة بومهدي زينب وبسو جميلة لمساعدتهم لي في إتمام هذا العمل.

وشكرا

إهداء

الى روح أبي الطاهرة رحمه الله

الى سر وجودي في هذه الحياة أمي الغالية

الى أخي وأختي وبناتها آية ومريم وفدوى

الي صديقي خالد وابن خالتي أمين وابن عمي سيد علي

الى أستاذتي بومهدي زينب، وأستاذتي بسو جميلة

الى من شاركتني هذا العمل زيات حيزية

الى جميع اصدقائي

أهدي لهم جميعا عملي هذا.

زرزور رابح

ملخص:

تمكن محمد علي من تباعد دولة مصر الحديثة في الفترة الممتدة 1805–1848 وذلك من خلال الإصلاحات التي قام بها شملت مجالات عديدة اقتصادية ومالية وعسكرية وثقافية.

إلا أن النهضة السلمية التي قام بها محمد علي باشا في مصر هي نهضة مصطنعة ترمي لخدمة أغراض عسكرية وأهملت الجوانب الأخرى مما أدى إلى فشلها وذلك بسبب ضعف أساسها.

وبالتالي تعد تجربة محمد علي التحديثية في مصر مثالا جيدا في بناء دولة قوية تهتم بترقية وخدمة شعبها وتعمل على تعليمه وتربيته مما يجعله يشعر بانتماء للوطن وتحرك فيه رغبة للحفاظ على هذا الوطن والحفاظ عليه مهما كانت الظروف والتحديات.

résumé:

Muhammad Ali a pu faire diverger l'état moderne de l'Égypte dans la période 1805-1848, grâce aux réformes qu'il a menées, qui comprenaient de nombreux domaines économiques, financiers, militaires et culturels.

Cependant, la renaissance pacifique menée par Muhammad Ali Pacha en Égypte est une renaissance artificielle qui vise à servir des objectifs militaires et néglige d'autres aspects, ce qui a conduit à son échec en raison de la faiblesse de ses fondements.

Ainsi, l'expérience de modernisation de Muhammad Ali en Égypte est un bon exemple de la construction d'un État fort qui se soucie de promouvoir et de servir son peuple et travaille à l'éduquer et à l'élever, ce qui lui fait ressentir un sentiment d'appartenance à la patrie et y déplace un désir.

Pour préserver et préserver cette patrie, quelles que soient les circonstances et les enjeux.

فهرس الموضوعات

قائمة الموضوعات	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
فهرس الموضوعات	
المقدمة	أ–ث
الفصل الأول: أوضاع مصر ما بين 1805/1801، ووصول محمد علي إلى الحكم	***1–31***
المبحث الأول: أوضاع مصر مابين 1805/1801	**2-8**
المبحث الثاني: محمد علي واليا على مصر	9–10
المبحث الثالث: أعمال محمد علي بعد وصوله إلى الحكم	11–31
الفصل الثاني: محمد علي باشا والحركة التعليمية في مصر	***23–55***
المبحث الأول: التعليم	33–40
المبحث الثاني: الترجمة والطباعة	41–45
المبحث الثالث البعثات العلمية	46–55
الفصل الثالث: النهضة العلمية في مصر بين الحقيقة والاصطناع	***65–70***
المبحث الأول: دور التعليم في صناعة قوة ونهضة مصر	57–61
المبحث الثاني: الأبعاد الحقيقة للتعليم، أو	62–66

أسباب الفشل	
المبحث الثالث: اجهاض النهضة العلمية بانهيار القوة العسكرية	67-70
خاتمة	***71-73***
قائمة الملاحق	74-89
قائمة المصادر والمراجع	90-94

مقدمة

لقد شهدت مصر في نهاية القرن 18 ركودا علميا وثقافيا، انعكس على الحالة السياسية، العسكرية والاقتصادية للبلاد، وجعلها عرضة للحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت، في الفترة ما بين (1798 – 1801)، هذه الحملة التي على الرغم مما يمكن أن يقال حولها والسلبيات والانعكاسات الخطيرة التي نتجت عنها من الناحية العسكرية والاقتصادية ... على مصر، إلا أنها كانت فرصة للمصريين سمحت لهم بالتعرف على التطور الحاصل في أوروبا.

بعد طرد فرنسا و تولي محمد علي باشا زمام الحكم في مصر، وبعد قضائه على المماليك وأتباعهم، تمكن من بعث إصلاحات ثقافية، اقتصادية، إدارية وعسكرية بالبلاد، أدت إلى حصول تطور كبير في مصر بعد التحديث الذي عرفته في كل المجالات ، كما يمكن أن يقال أيضا بأنها قد أدت الى قيام نهضة علمية بمصر، كان أساسها التعليم، لكن هذه النهضة رغم النجاحات الكبيرة التي حققتها، لم تبق لها آثار في مصر بعد وفاة محمد علي، وبدأت في الانهيار بمجرد الهزيمة العسكرية لجيش محمد علي في حرب الشام الثانية، الأمر الذي أثار في نفسنا الفضول والرغبة في كشف سر هذا الأمر، ومن جهة أخرى دفعنا لطرح التساؤل التالي:

فماهي أهداف محمد علي من اهتمامه بالتعليم؟ وإلى أي مدى نجح في تحقيق هذه الأهداف؟ أو بمعنى آخر أليس مشروع النهضة العلمية يعد في تاريخ الشعوب تحولا أو تغييرا جذريا في الحياة الثقافية والذهنية لتلك الشعوب، تكون جذورها أعمق وأصلب من أن تقطعها هزيمة في معركة؟ وإذا سلمنا بهذه الفكرة لماذا لم تنطبق هذه الحقيقة على نهضة مصر في عهد محمد علي؟

وهنا تكمن في نظرنا أهمية هذا الموضوع، الذي حاولنا فيه أن نسلط الضوء على الفترة الحديثة من تاريخ مصر، التي شهدت العديد من التحولات والتطورات الكبرى في مختلف

مجالات ومناحي الحياة لاسيما بعد تعرضها للحملة الفرنسية ووصول محمد على باشا للحكم ومباشرته للعديد من الأعمال والانجازات والإصلاحات التي كان لها بالغ الأثر في تغيير وجه مصر وإدخالها في الفترة الحديثة.

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فيمكن تقسيمها إلى ذاتية وموضوعية، فالذاتية تتمثل في تلبية الفضول الذي كان لدينا حول هذا الموضوع ورفع زادنا المعرفي والتاريخي حول تاريخ مصر في هذه الفترة وحول هذه الشخصية وأعمالها التي ارتبط تاريخ مصر بها في هذه الفترة من خلال التعمق في دراسة تلك الإصلاحات ومعرفة مدى مساهمتها في النهضة العلمية بالبلاد، وكذا أسباب انهيارها بمجرد هزيمة الجيش المصري في حرب الشام الثانية، أما بخصوص الأسباب الموضوعية، فتتمثل في ميلنا لدراسة تاريخ المشرق العربي الحديث عمومًا، ومصر خصوصا.

أما بخصوص المنهج المتبع في هذا البحث فقد اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي، كونه المساعد على بناء وتركيب الواقعة التاريخية حتى يسهل علينا دراستها فيما بعد وتحليلها، لذلك عملنا على جمع المعلومات، وضبطها موضوعيا وزمنيا، وعرضنا مختلف الأحداث والتطورات ذات الصلة بالموضوع، التي عرفتها مصر خلال الفترة الممتدة ما بين (1805-1848) بالشكل الذي يمكّن القارئ من أخذ فكرة واضحة عن هذا الموضوع.

كما استخدمنا المنهج التحليلي، وذلك من خلال دراسة الأحداث التاريخية والبحث في حيثياتها وتفاصيلها وتحليلها، تحليلا دقيقًا، من أجل فهم أسبابها، والوصول للنتائج، وقد طبقنا هذا خاصة عند دراسة الإصلاحات التي قام بها محمد علي باشا ومآلاتها لاسيما في شقها الثقافي أو التعليمي، التي حاولنا فيها الوقوف على غاياتها وخلفياتها الحقيقية وأسباب فشلها في النهاية.

خطة الدراسة:

من أجل الإلمام أكثر بجوانب الدراسة، وللإجابة على الإشكالية المطروحة، اعتمدنا على خطة مقسمة إلى مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة، وكذا مجموعة من الملاحق التوضيحية ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وللتوضيح أكثر سنعرض هذه الفصول.

الفصل الأول: والذي كان تحت عنوان: أوضاع مصر بين (1801 – 1805 م) ووصول محمد علي للحكم بمصر، والذي قسم إلى ثلاثة مباحث هي: الأول تطرقنا فيه إلى أوضاع مصر، بين (1801–1805 م)، أما المبحث الثاني، فكان بعنوان محمد علي واليا على مصر، أو الطرق إلى الحكم، بما فيه القضاء على الخصوم، الإصلاحات، وكذا حروبه.

الفصل الثاني: وقد كان تحت عنوان: محمد علي والحركة التعليمية في مصر، والذي قسم هو الآخر لثلاثة مباحث، ألا وهي: المبحث الأول، والذي تناولنا فيه التعليم من تفاصيل أوضاع وظروف أما المبحث الثاني والذي تطرقنا فيه إلى الترجمة والطباعة، أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه البعثات العلمية.

الفصل الثالث: وكان تحت عنوان: النهضة التعليمية في مصر، بين الحقيقة والاصطناع، والذي قسم بدوره هو الآخر لثلاثة مباحث هي: المبحث الأول، والذي كان تحت عنوان دور التعليم في صناعة قوة ونهضة مصر، أما المبحث الثاني، فقد تناولنا فيه الأبعاد الحقيقية للتعليم بمصر، أي أسباب فشله، أما المبحث الثالث، فقد تطرقنا فيه إلى إجهاض النهضة التعليمية بانهيار القوة العسكرية.

كما اختتمنا بحثنا هذا بخاتمة، تطرقنا فيها إلى أهم النتائج والاستنتاجات التي تمكنا من التوصل إليها.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا أيضا، على مجموعة من المصادر والمراجع، والتي نذكر من أبرزها:

– كتاب عصر محمد علي عبد الرحمن الرافعي.

– كتاب تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى ما قبيل الوقت الحاضر، (عمر الاسكندري وآخرون)

– كتاب البعثات العلمية لعمر طوسون.

– كتاب تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث لمحمد صبري.

– كتاب تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي.

– كتاب تاريخ التعليم في عصر محمد علي لأحمد عزت عبد الكريم.

وقد واجهنا في بحثنا هذا مجموعة من الصعوبات، كضيق الوقت وتزامن البحث مع الدراسة، وكذا ندرة وقلة المصادر والمراجع التي تتناول الموضوع في المكتبات الجامعية والعامة، وذلك لكون الموضوع يتعلق بتاريخ مصر الحديث، لكن هذه الصعوبات لم تقف في طريقنا في انجاز هذا البحث، خاصة وأننا وجدنا ضالتنا في الكتب الإلكترونية.

الفصل الأول: اوضاع مصر ما بين 1801-1805، ووصول محمد علي لحكم مصر

المبحث الأول: أوضاع مصر ما بين 1801-1805

المبحث الثاني: محمد علي واليا على مصر

المبحث الثالث: أعمال محمد علي بعد وصوله للحكم

المبحث الأول: أوضاع مصر في الفترة ما بين 1801- 1805

قبل الشروع في الحديث عن الأوضاع العامة في مصر بعد الحملة الفرنسية، إلى غاية تولي محمد علي الحكم، نشير فقط في عجالة الى أن حاكم مصر قبل تلك الحملة كان يعين من قبل الباب العالي، لمدة سنة واحدة يشتغل فيها بالنهب، وإذا أراد تجديد فترة حكمه، كان لابد له من رشوة الباب العالي.

وكانت تساعده في توطيد حكمه فيالق عسكرية، تعرف بـ "الأوجاق"، والتي كانت تضم شراذم وشرار القوم، من مرتزقة وغيرهم، تحولوا من قوة للدفاع عن الأرض أو حماة لها الى عصابات وحشية أذاقت الويل للمصريين[1].

كما كانت هناك قوة أو طرف آخر شارك في حكم البلاد تمثل في المماليك الذين قام العثمانيون في البداية بطردهم، لكنهم تمكنوا من العودة من الباب الخلفي، من خلال الإدارة المحلية التي مكنتهم من احتكار السلطة الفعلية في البلاد، وقد كانت هذه القوة الأخيرة في صراع مع العثمانيين، لكن بعد تعرض مصر للحملة الفرنسية عام 1798م، تحالفت هذه القوى فيما بينها، لصد تلك الحملة، وكان ذلك في 1801م[2] .

1- الأوضاع السياسية والعسكرية:

ما إن تمكنت القوات المصرية " المماليك" والعثمانيين بالإضافة إلى الانجليز من طرد الفرنسيين من مصر في 1801م، حتى عاد الصراع بين العثمانيين وبكاوات المماليك من جديد، نتيجة رغبة الفئة الأخيرة في العودة للسلطة التي كانوا يتمتعون بها قبل الحملة، و هذا ما قابله رفض قاطع من قبل العثمانيين، الذين قرروا إقصاءهم من الحكم[3]، وطردهم من

[1] جمال بدوي، محمد علي وأولاده، "بناة مصر الحديثة"، مكتبة الأسرة، 1999، ص 21

[2] المرجع نفسه، ص 22.

[3] محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر (1801- 1811)، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي، د م ،2017، ص 21.(كتاب الكتروني)

البلاد، رغم دعم الانجليز لبكوات المماليك، لكن السلطة العثمانية القائمة في مصر والمتمثلة في الصدر الأعظم ضياء باشا والقبطان حسين باشا، حاولت القضاء على هذه الفئة من خلال استعمال سياسة الإغراء والترغيب تارة وسياسة الترهيب تارة أخرى، وقد فشلت هذه السياسة نتيجة الدعم المنقطع النظير من الانجليز لهم[1].

وبعد عودة الصدر الأعظم ضياء باشا، والقبطان حسين باشا نحو الأستانة عين الباب العالي خسرو باشا في منصب الوالي، وهذا الأخير حاول توطيد حكمه بالبلاد، لكنه اصطدم بعقبة المماليك، فحاول مواجهتهم باستعمال الجنود الأرنؤوط، ومع إصدار عفو على من يوافق على الخضوع له لكنه استثنى بكواتهم من ذلك، وهذا ما دفعهم للتحالف ضده وهزمه في معركة بني سويف في سبتمبر 1802، ثم في معركة دمنهور، نتيجة تقاعس الجنود الأرنؤوط عن القتال[2]، وقد دفعت هذه الهزائم المتكررة خسرو باشا، إلى طرد الأرنؤوط من مصر، لكن ذلك نتج عنه ثورة طاهر باشا قائد الجيش على الوالي في 23 أفريل 1803، والتي انتهت بانتصاره وهروب الوالي[3].

وبعد نجاح طاهر باشا في الإطاحة بالوالي خسرو باشا، الا أنه و بسبب العقبات الكثيرة التي واجهته وكان من أبرزها خلو الخزينة من المال، في ظل مطالبة الجنود الأرنؤوط بمرتباتهم العالقة والتي رفض دفعها، مما أدى لثورتهم عليه وقتله[4].

كما حاول والي المدينة المنورة أحمد باشا، الذي كان متواجدا بالقاهرة التحالف مع الانكشارية العثمانيين قصد الوصول إلى منصب والي مصر أو قائم مقام، لكن بكاوات المماليك الذين تحالفوا مع الجنود الأرنؤوط أرغموه على الخروج باتجاه ولايته ألا وهي المدينة

---

[1] محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 21، 22.

[2] الياس الأيوبي، محمد علي " سيرته وأعماله وأثاره"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص 21.

[3] محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 23.

[4] المرجع نفسه، ص 160،159،155.

المنورة، وبعد هذا التحالف تشكلت حكومة ثلاثية متكونة من إبراهيم بك، البرديسي ومحمد علي[1].

وبعد توالي الأحداث ، عين الباب العالي الباشا علي الجزائرلي واليا على مصر في 17 جوان 1803، لكن الحكم العثماني في تلك الفترة لم يكن ساريا الا في الرشيد والإسكندرية، فحاول الباشا الجديد توسيع حكمه إلى القاهرة، وذلك من خلال معاتبة البكاوت ومطالبتهم بالانسحاب من المدينة ضنا منه بأنهم سيخضعون له، لكنهم لم يعبؤوا بذلك، بل هاجموا الرشيد في 12 أوت 1803، واستولوا عليها بعد ما تحالف معهم محمد علي[2]، وبعد ذلك حاول البرديسي حاكم القاهرة من المماليك استدراج الباشا الجديد علي الجزائرلي إلى القاهرة من خلال إغرائه بمنصب الوالي، لكن ما إن وصل إلى القاهرة، حتى انقلبت المماليك عليه، وقتلوه في أواخر جانفي 1804 [3]، وبعد هذه الحادثة حاول البرديسي التخلص من خورشيد باشا حاكم الإسكندرية، وذلك من خلال استخدام نفس الأسلوب الذي تخلص به من الباشا علي الجزائرلي، لكن خورشيد، تفطن لمكيدة البرديسي[4] .

لكن ورغم ما تمكن بكاوات المماليك من تحقيقه، إلا أنهم عجزوا عن إدارة الحكم بمصر، خاصة في مدينة القاهرة التي عمت فيها الفوضى والفتن نتيجة غياب حكومة مركزية قادرة على التحكم في الوضع، وكبح جموح الجنود الذين عاثوا في الأرض فسادا[5]، هذه الأوضاع المزرية التي أصبحت تعيشها مصر خاصة بعد تولي بكاوات المماليك شؤون الحكم، أدت إلى انقلاب محمد علي عليهم بعدما كان حليفهم في البداية، وكان ذلك في

[1] محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 160-162.

[2] المرجع نفسه، ص 167، 169.

[3] المرجع نفسه، ص 177، 184.

[4] المرجع نفسه، ص 185، 187.

[5] المرجع نفسه، ص 192.

12-13 مارس 1804م بعد ما قتل عدد كبير منهم وانسحب الباقي منهم من مدينة القاهرة[1].

2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

لقد عرفت مصر من الناحية الاقتصادية في الفترة مابين (1801-1805) أوضاعا مزرية على الصعيد الاقتصادي انعكست على الحياة الاجتماعية نتيجة الاضطرابات السياسية والعسكرية التي شهدتها البلاد ففي المجال التجاري، تراجعت تجارتها الخارجية نتيجة اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بعدما كانت من قبل ولقرون متحكمة في التجارة نحو الشرق وأوروبا عبر البحر الأحمر وبذلك قلت مواردها المالية، لكن هذا لم يمنعها من إقامة علاقات تجارية مع الباب العالي، الدول المغاربية، فرنسا، من خلال تصدير الأرز، البن، الشمع.....، واستيراد الصوف، الحرير، المعادن...[2].

أيضا المجال الزراعي تأثر هو الأخر بتدهور الحياة السياسية في البلاد حيث هذه الأوضاع أدت إلى انشغال الناس عن الزراعة، وإهمالها مما نتج عنه تراجع الجباية، مما أدى إلى إتباع طريقة الالتزام[3]، والذي كان في البداية لمدة محدودة قبل أن يصبح مدى الحياة، ومنه يتضح لنا أن الانتفاع من إنتاج الأرض كان مقسوما بين الحكومة والملتزمين، دون الفلاح الذي لا ينال نصيبه بالانتفاع من هذا النظام[4]. على الرغم من أن الهدف من وراء اعتماد هذا النظام كان إصلاح أحوال الفلاحين، خاصة بعدما أصبح الملتزمون

---

[1] محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 201، 206، 207

[2] محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في العصور الحديثة، ج1، المطبعة الأميرية، بولاق، الإسكندرية، 1934، ص 12،13.

[3] الالتزام: ويقصد به أن يتكفل من يشاء من الطبقة الرفيعة في البلاد، من مماليك، أتراك أو تجار، بتحصيل الخراج للحكومة من مختلف القرى سواء بالاتفاق أو المزايدة، ويقوم الملتزم بدفع المال للخزينة دفعة واحدة، وتترك له الحرية في التصرف في دائرة التزامه ويفرض عليه الحصول على صك الالتزام من شيخ البلد، أو كبير أمراء المماليك.

[4] جرجي زيدان، ال، ص 146.

يتعسفون في تحصيل الضرائب من الفلاحين من خلال إجبارهم على دفع الضرائب الباهظة، والتي أدت في الأخير إلى تقليص الأراضي الزراعية، والنقص الكبير في الإنتاج[1].

ومنه يتضح لنا أن الزراعة في مصر خلال هذه الفترة كانت زراعة انتقائية نتيجة الضرائب الباهظة والمتنوعة المفروضة على الأرض والإنتاج، والمظالم الكبيرة التي كان يتم ارتكابها في حق الفلاحين خلال تحصيل الضرائب، وهذا ما أدى إلى الفلاحين لاستغلال بشع من قبل أصحاب النفوذ والإقطاعيين، مما انعكس سلبا على النشاط الزراعي[2].

أما القطاع الصناعي فقد تأثر بدوره هو الأخر بتدهور الوضع السياسي والعسكري الذي أصبحت تعيشه البلاد خلال هذه الفترة، فقد أصبحت الصناعة محصورة في الحرف والصناعات اليدوية، كصناعة المنسوجات، السكر، دباغة الجلود والزجاج وقد كان لكل صناعة أو حرفة نقابة[3]، أما من الناحية الاجتماعية فقد عرفت مصر في الفترة ما بين(1801- 1805) أوضاعا اجتماعية مزرية نتيجة تدهور الوضع السياسي والاقتصادي، والذي نتج عنه انقسام المجتمع المصري إلى طبقات اجتماعية مختلفة نذكر منها:

الطبقة الحاكمة: وتتكون من الأتراك وبكاوات المماليك الذين يعتلون سدة الحكم في مصر.

الطبقة العامة: والتي تتشكل من المشايخ، التجار، الفلاحين والحرفيين...[4].

وقد عانى المجتمع المصري في هذه الفترة من الظلم، الإهانة، والاستبداد الممارس من قبل الحكام وأصحاب النفوذ والثروة، بالإضافة إلى الضرائب المجحفة والتي فرضتها الدولة في

[1] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 15.

[2] الغالي الغربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288-1926)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2011، ص 118-119.

[3] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 14، 15.

[4] سعد سعود فايزة، حملة نابليون بونابارت على مصر ونتائجها (1798- 1805) مذكرة نيل شهادة الماستر في تاريخ الوطن العربي المعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2019-2018) ص 17.

حق الفلاحين والتي أنهكت الفلاح[1]، خاصة وأنها كانت تفرض بشكل متوالي ومستمر والفلاح مجبر بدفعها غصبا...[2].

3 الأوضاع العلمية والثقافية:

مما هو معروف أن العالم الإسلامي في الفترة الحديثة كان يعاني ركودا فكريا بما فيه مصر التي عرفت فيها الحياة الفكرية التقهقر والانحطاط بحيث اقتصر فيها التعليم على دراسة العلوم الشرعية والعربية، المنطق، علم الكلام... والتي كان جامع الأزهر هو المؤسسة الوحيدة لتدريسها، وفي المقابل كان هناك إهمال كبير للعلوم العقلية كالرياضيات، الطب ...[3].

بالإضافة إلى ذلك، لابد من الإشارة إلى انعدام الأبحاث والدراسات العلمية، والتي لم تكن معروفة آنذاك، مما سمح بانتشار البدع، التعاويذ، الخرافات، والخزعبلات، وهذا ما أدى إلى تعاظم شأن أشباه العلماء، مهما قل علمهم، نتيجة تعظيم الناس لهم، بعد ادعائهم الصلاح، وهم من اكتسبوا الثروة الطائلة، من أراضي الوقف التي كانوا يشرفون على تسييرها كنظراء، والتي أصبحوا يستغلونها كأنها ملك خاص[4].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها مصر في الفترة ما بين (1801-1805) سواء في الجانب السياسي والعسكري والاقتصادي جعلت مصر في أمس الحاجة للتغيير كما ساهمت بشكل غير مباشر في مساعدة محمد علي في الوصول الى الحكم بعدما أصبح المصريون متعطشين لمن يأخذ بيدهم ويغير أحوالهم.

[1] الغالي غربي، المرجع السابق، ص 118.

[2] جرجي زيدان، مصر العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 145.

[3] المرجع نفسه، ص 150.

[4] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 19.

المبحث الثاني: محمد علي واليا على مصر، أو الطريق الى الحكم

تمكن محمد علي من الوصول الى الحكم في مصر يوم 13ماي1805م، وكان ذلك بعد اجتماعه بالعلماء، والذين أجمعوا بزعامة عمر مكرم على عزل الوالي العثماني "خورشيد باشا" الذي عرفت البلاد في عهده تدهورا في جميع النواحي، وتعيين محمد علي باشا مكانه، لكن خور شيد باشا رفض ذلك، وتحدى رغبة الشعب، من خلال الاعتصام بالقلعة، ورفض قرار العزل الصادر من العلماء والاعيان، لكن هذه الفئة الأخيرة تمكنت من استثارة الشعب ضده، وهزمه هو وجيشه، واجباره على التنحي من الحكم.[1]

بعد عزل خور شيد باشا مباشرة أصبح محمد علي باشا من الناحية الفعلية هو حاكم مصر– من دون تعيين رسمي–لكن على الرغم من ذلك كانت لا تزال تعترضه العديد من العقبات، لعل من أبرزها تربص الأعداء به، لعزله من منصبه، حتى بعد اصدار الباب العالي فرمان التعيين الخاص به، وتجدر الاشارة هنا الى أن السلطان العثماني (محمود الثاني) كان يتحين الفرصة المناسبة لعزله، معتبرا ما حدث مؤخرا بولاية مصر، بمثابة الاهانة للدولة والسلطان العثماني.[2]

بالإضافة الى ذلك فان المماليك لم يقفوا موقف المتفرج من الاحداث التي كانت تشهدها البلاد، حيث قرروا تدبير انقلاب على محمد علي باشا وكان ذلك يوم الاحتفال بوفاء النيل، وقد تم اختيار هذا اليوم، نظرا لانشغال محمد علي، وكبار رجال الدولة بالاحتفال، لكن محمد علي باشا تفطن لمكرهم، ووضع خطة محكمة، تمكنت من استدراجهم، والقضاء عليهم، وفي الوقت نفسه تمكن من الاستيلاء على قوات خور شيد باشا وأسلحته.[3]

[1] نشأة الديهي، محمد علي باشا، بدايات قاسية ومجد عظيم، دار الجمهورية للصحافة، 2009، ص 35،36.

[2] المرجع نفسه، ص 42.

[3] المرجع نفسه، ص ص 44، 45.

وأيضا إنجلترا التي بعدما تفرغت من حربها ضد الاسطول الفرنسي، للسيطرة على الطرق البحرية، بما فيها البحر المتوسط، حاولت التحالف مع الدولة العلية لعزل محمد علي، و تولية محمد بك الالفي حكم مصر، وانطلاقا من ذلك، أصدر السلطان العثماني فرمان العزل الخاص بمحمد علي، و نقله لولاية سالونيك، وتولية موسى باشا حكم مصر بدلا منه، مع السماح للمماليك بالعودة لحكم الأقاليم، ولما وصل قرار العزل لمحمد علي، اجتمع بزعيم العلماء عمر مكرم وقرر اظهار الطاعة لفرمان السلطان من جهة، وكذا الاعتماد على الزعامات الشعبية والعلماء في مواجهة ذلك الفرمان، حيث أنها رفضته قطعيا، رغم إصرار صالح باشا قائد القوات العسكرية التي حملت قرارا العزل لمحمد علي، كما أنه قرر مواصلة اضعاف قوة المماليك، وقد نجح في ذلك، من خلال زيادة الخلاف و التناحر حول الحكم فيما بينهم.[1]

ونظرا لدهاء وحنكة محمد علي، فانه قد تمكن من استمالة صالح باشا لصفه، من خلال تقديم الهدايا له، وبالتالي تهدئة العلاقات وتحسينها مع الباب العالي، هذا الأخير الذي قرر الغاء فرمان العزل الصادر في حق محمد علي باشا، وكذا ارسال فرمان آخر يثبته على حكم مصر، نزولا عند رغبة الشعب والعلماء المصريين شرط أن يدفع للدولة العلية مبلغ 4000 كيس، ويكون ابنه إبراهيم باشا رهينة حتى يدفع المبلغ، والذي يتم دفعه قبل مرور شهر، وبذلك انتهى خلافه مع الباب العالي، وصدر الفرمان السلطاني والنهائي، الذي يثبته على الحكم.[2]

[1] نشأة الديهي، المرجع السابق، ص ص 45-47.

[2] المرجع نفسه، ص ص 47-48.

المبحث الثالث: أعمال محمد علي باشا:

ما إن تمكن والي مصر محمد علي باشا من الوصول إلى كرسي السلطة حتى اعترضته العديد من العقبات التي وقفت في طريق إصلاحاته العسكرية والاقتصادية، لذلك كان لزاما عليه التخلص منها حتى يتمكن من توسيع نفوذه، وتحقيق إصلاحاته التي كان يسعى إليها، وقبلها جميعا توطيد حكمه لنفسه ولأبنائه من بعده. ومن اجل تحقيق هذه الأهداف قام بما يلي:

1- القضاء على الخصوم:

أ- العثمانيين: سعت الحكومة العثمانية في اسطنبول تحت ضغط الانجليز لإبعاد محمد علي من الحكم، وذلك من خلال إصدار السلطان العثماني لفرمان يأمر بنقل الوالي محمد علي لولاية سالونيك باليونان، لكن محمد علي استنجد بالزعامات الشعبية والعلماء-كما سبقت الاشارة اليه- والذين كتبوا عريضة للسلطان، يلتمسون فيها بقاء محمد علي واليا على مصر، و تمكنوا من إقناع الباب العالي ببقائه في منصبه، مقابل دفع جزية سنوية قدرها 20 ألف جنيه[1].

ب- طرد الانجليز: لم يعجب الانجليز قرار تنصيب وتثبيت محمد علي باشا على ولاية مصر، كون ذلك يتعارض مع مصالحهم - تقارب محمد علي مع الفرنسيين- لذلك سارعوا بإرسال حملة عسكرية بقيادة فريزر لاحتلال الإسكندرية، حيث أمر الجنرال الانجليزي في البداية بتسليم المدينة بطريقة سلمية، لحمايتها من الاحتلال الفرنسي حسبه، لكن حاكمها

[1] عائشة فقير وعقبة عتو، إصلاحات محمد علي باشا في مصر بين الرفض والقبول (1805-1848)، مذكرة ماستر في تخصص تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، 2016-2017، ص 34،35.

أمين أغا رفض ذلك، لكن لم يكن له الجرأة الكافية لمواجهة هذه القوات، فاستسلم هو وقواته في 20 مارس 1807 تاركا الإنجليز يدخولون المدينة[1].

بعد ذلك اتجهت القوات الانجليزية نحو رشيد لاحتلالها لكن شجاعة حاكمها علي بك حالت دون ذلك، والذي رغم قواته القليلة إلا أنه هاجم الجنود الانجليز الذين حاولوا دخول المدينة، ما ألحق بهم خسائر كبيرة من قتلى وأسرى[2]، وقد أغاضت هذه الهزيمة الجنرال فريزر، والذي جهز حملة أخرى أقوى من الأولى بكثير لاحتلال هذه المدينة، فبدأ بحصارها وإطلاق النار عليها لكن صبر أهلها منعه من دخولها، خاصة بعد وصول الإمدادات التي مكنت علي بك من تقسيم قواته لفرقتين هاجمت الانجليز، وأجبرتهم على التراجع بعدما ألحقت بهم خسائر كبيرة من قتلى وأسرى[3].

وبعد تراجع القوات الانجليزية نحو الإسكندرية قصد انتظار وصول الدعم من انجلترا بحرا وهذا ما تفطن إليه المصريون الذين قطعوا المواصلات البحرية على المدينة والتي أدت فيما بعد لغلق المدينة، وإتلاف المحاصيل الزراعية وهذا ما دفع بالإنجليز للدخول في مفاوضات مع محمد علي باشا، اتفقوا من خلالها على إخلاء المدينة مقابل تسليم محمد علي لجميع الأسرى الانجليز، وقد تم ذلك في 4 سبتمبر 1807م[4].

ج- مذبحة القلعة "مذبحة المماليك":

وقعت هذه الحادثة في 11 مارس 1811م بعدما وجه محمد علي باشا الدعوة لجنود المماليك وبكاواتهم للمشاركة في حملة الحجاز، للقضاء على الوهابيين، فظن الجميع أنها بادرة صلح وسلام بين الطرفين، لكنه كان يدبر لمؤامرة دنيئة للقضاء عليهم نهائيا، وذلك من

[1] محمد فريدريك، البهجة التوثيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط2، ص 43.

[2] محمد فريد بك: المرجع السابق، ص 44.

[3] المرجع نفسه، ص 46، 47.

[4] المرجع نفسه، ص 48.

خلال التخطيط لسير موكبهم العسكري على طريق ضيق، منحدر ومنحوت على صخر القلعة، يفضي إلى باب الغرب على الرملية، وما ان اقتربت الصفوف الأولى لموكب المماليك، حتى أغلق الباب بإحكام من الخارج، دون تفطن الجنود لذلك، وبذلك أخذت الخيول تتزاحم بفعل الانحدار الطبيعي، حتى وجد الجنود أنفسهم مختنقين في الخندق الضيق، وفي الوقت نفسه تسلق الجنود الأرنؤوط الصخور المطلة على جانبيي الخندق، وأخذوا يطلقون الرصاص عليهم من كل حدب وصوب، وازداد هيجان الخيول خاصة مع سماعها صوت الرصاص، حيث أخذت تلقي الجنود أرضا، وتدوسهم بأقدامها، وقد حاول بعض الأمراء المماليك النجاة بأنفسهم، لكن دون جدوى، نتيجة تفطن الأرنؤوط لهم وذبحهم، وقد بلغ عدد القتلى منهم 470 قتيل[1].

وفي الوقت نفسه كان النصف الأخر من الجنود الارنؤوط يهاجمون قصور أمراء وبكاوات المماليك بالقاهرة، ناهبين أموالهم، مستبيحين نساءهم، ذابحين أولادهم، وبذلك كانوا كالوحوش الكاسرة والمتشوقة للنهب والاغتصاب، حتى أنهم لم يفرقوا بين بيوت المماليك وبيوت عامة المصريين، واستمرت هذه الفوضى لغاية نزول محمد علي باشا لشوارع القاهرة أين تمكن من كبح جماح جنوده، وإعادة الأمن والانضباط للمدينة[2].

وقد اختلفت الأحكام الصادرة على هذه المذبحة بين المؤيد و المعارض، فهناك من اعتبرها نقطة سوداء في حكم محمد علي، في صورة عبد الرحمان الرافعي، والذي رغم تأييده لمحمد علي في محاربة المماليك والقضاء عليهم، إلا أنه أدان الطريقة التي اعتمد عليها، والقائمة على الغدر والمؤامرة، وهناك من أيد الباشا في هذه المذبحة، رغم الأسلوب الوحشي الذي انتهجه، مثل "مانجان" الذي اعتبر قضاء محمد علي على المماليك وبكاواتهم، أمر ضروري كون جيش الباشا كان متجها نحو الحجاز، تنفيذا لأمر الباب العالي، وبالتالي فراغ

[1] محمد فريد بك: المرجع السابق، ص 67، 68.

[2] المرجع نفسه، ص 68،69.

الساحة لهم كان يشكل خطرا عليه، لذلك كان القضاء عليهم نهائيا في اعتقاده أمرا ضروريا[1].

د- التخلص من ضغط الأعيان والزعامات الشعبية:

بعد ما تمكن محمد علي باشا من بسط نفوذه وسلطانه في كل أرجاء مصر من خلال القضاء على خصومه من المماليك وحلفائهم الانجليز، وكذا التمكن من كسب ود واستمالة الدولة العلية، سعى للتخلص من ضغط الأعيان والزعامات الشعبية، خاصة بعد تدخلهم في شؤون حكمه[2].

وتعود جذور الخلاف بين محمد علي باشا، والأعيان من زعماء وعلماء إلى الضرائب المجحفة المفروضة على الشعب في الحبوب، المأكولات، والقوافل التجارية، والتي أدت إلى الارتفاع الكبير في أسعاره، وهذا ما اضطر العلماء والزعامات الشعبية بقيادة عمر مكرم، للتدخل كوسطاء لإيجاد حل لذلك، محاولين الضغط عليه للتراجع عن إجراءاته التعسفية في حق السكان، رغم أنهم كانوا حلفاءه الذين ساعدوه على الوصول إلى السلطة والبقاء فيها. لكن محمد علي لم يشأ الدخول في صراع مباشر مع الأعيان، كونه أعاد إحياء الخلاف الذي كان قائما بين العلماء والزعامات الشعبية، وذلك من خلال تقديم إغراءات كبيرة للعلماء كإعفاء أملاكهم وأراضيهم من الضرائب، وبذلك تمكن من القضاء على التحالف القائم بينهم وبين الزعامات الشعبية[3].

بالإضافة إلى ذلك فإنه حاول استمالة الزعيم الشعبي عمر مكرم، لكن الأخير رفض أي شكل من أشكال الحوار أو النقاش مع محمد علي باشا، ما لم يلغ الضرائب المفروضة في حق الشعب، والتي حسبه ستؤدي إلى انفجار ثورة شعبية عارمة تودي إلى تنحية الوالي

[1] المرجع نفسه، ص 69، 70.

[2] عائشة فقير وعتيقة عتو، المرجع السابق، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص 26، 27.

محمد علي باشا من منصبه، وهذا ما أدى إلى غضب الأخير، الذي أمر بعزل محمد مكرم من منصب نقابة الأشراف، ونفيه من القاهرة نحو دمياط في 12 أوت 1809م، وبذلك تمكن من التخلص من ضغط الزعامات الشعبية التي كانت تنازعه في الحكم[1].

2- إصلاحات محمد علي:

أ- في المجال الاقتصادي:

عمل محمد علي باشا على إحداث تغييرات على الاقتصاد المصري، بمختلف قطاعاته، وذلك قصد إحداث نهضة اقتصادية شاملة للبلاد، ويشمل هذا الإصلاح القطاعات التالية:

الزراعة: يعتبر أول قطاع اهتم محمد علي بإصلاحه، حيث قام بإلغاء الالتزام في 1809 الأمر الذي سمح له بالاستيلاء على جميع الأراضي الأميرية، وكذا أراضي المماليك وجعلها تحت تصرف الدولة[2]، أما بخصوص أراضي الوقف المخصصة لأغراض دينية وخيرية والتي كانت تحت تصرف العلماء والمشايخ، فهي الأخرى أصبحت تحت تصرف الأسرة المحمدية العلوية، خاصة بعد رفض المشرفين عليها سابقا للإجراءات الجديدة لمحمد علي[3]. كما انتزع ملكية الأراضي من باقي الأفراد، وذلك من خلال ادعائه أنه نائب الخليفة على الأرض، وبالتالي له الحق في امتلاكها، وفي 1813م شرع في توزيعها على الفلاحين بعدما قام بمسحها وتقسيمها إلى مديريات[4]، مراكز، أقسام...، ويعين شخص من فئة المشايخ أو ممن يقوم بجباية للضرائب لإدارتها[5].

---

[1] عائشة فقير وعتيقة عتو، المرجع السابق، ص 28، 29.

[2] جميل بيضون، وشحادة الناطور، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1992، ص 75.

[3] غالي الغربي، المرجع نفسه، ص 180.

[4] عمر الاسكندري وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مكتبة المديولي، القاهرة، ص 180.

[5] جورج بانج، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم اسماعيل، مكتبة مديولي، القاهرة، ص 80.

كما قام محمد علي بإعطاء الأرض للفلاح قصد استغلالها واستثمارها على أن تدفع الضرائب مباشرة للدولة، فإذا عجز الفلاح عن دفعها يصبح للدولة الحق في استرجاعها وقد مدهم بآلات الري كما تم تحديد الأراضي المخصصة لزراعة المحصول، فإذا نضج تحدد الحكومة ثمنه، وتأخذ قيمة الضريبة وتشتري الباقي لنفسها[1].

بالإضافة إلى ذلك فقد أحاط محمد علي نفسه بطبقة أرستقراطية وذلك من خلال توزيع الأراضي الأميرية على كبار الموظفين وقادة الجيش قصد استغلالها، على أن يأخذ المحصول بالثمن الذي تحدده الدولة، وقد كانت هذه الأراضي معفاة من دفع الضرائب، كما يمنع على أصحابها بيعها أو تأجيرها، بل يفرض عليهم زراعتها[2].

ومنه فقد أدت هذه الإصلاحات إلى اتساع المساحة الزراعية بشكل كبير، مقارنة بما كانت عليه في عهد المماليك، وكل هذا راجع للوسائل التي أدخلها محمد علي كإنشاء القناطر والجسور، و وسائل الري والسدود...[3].

أما بخصوص الضرائب المباشرة وغير المباشرة فهناك ضريبة العقارات من الضرائب المباشرة والتي تحدد قيمتها حسب جودة الأرض وسهولة عملية الري وتفرض الضريبة على جميع الأراضي إلا أراضي كبار الدولة، أما فيما يتعلق بالنوع الثاني من الضريبة ألا وهي ضريبة الرؤوس والتي تفرض على كل مسلم وقبطي بلغ سنه 12 سنة، باستثناء الأوروبيين المقيمين بالبلاد، بالإضافة إلى ضرائب أخرى كضريبة النحل والجزية...[4].

---

[1] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 110.

[2] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 85.

[3] جورج بانج، المرجع السابق، ص 81.

[4] أحمد صلاح هويدي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ج2، ط1، الاسكندرية، ص 63، 64.

الصناعة: لقد حضي القطاع الصناعي باهتمام وعناية كبيرة من محمد علي باشا حيث أن الأخير أدخل الصناعات الكبرى للبلاد، واهتم بالصناعة المحلية، حتى يتمكن من صناعة مستلزمات الجيش والأسطول، ومنافسة المنتجات الغربية، وقد واجه في البداية العديد من الصعوبات والتي تمكن من تخطيها من خلال إنشاء العديد من المصانع في مختلف القطر المصري، خاصة بالصناعات المدنية، والعسكرية، فالمدنية تختص بصناعة الغزل، النسيج، القطن، الحرير، السكر، الزيتون، الورق، الفخار، وكذا مصنع الجوخ ببولاق...[1].

أما فيما يخص الصناعات الحربية العسكرية، فقد تم إنشاء العديد من المصانع، مثل مصنع القلعة في 1820، والذي أنشئ لصناعة الأسلحة وسبك المدافع، ومعمل البنادق والذي أسس في 1821، وكذا مصانع سبك الحديد ببولاق، والذي يجهز لصناعة السفن والآلات الخاصة بالمعامل والفابريقات، بالإضافة إلى مصنع البارود، والذي أنشئ في 1816 بجزيرة قبل أن ينشئ مصنع آخر في 1824 بالقلعة، كما أقام مصنع لسبك النحاس، وهو مخصص لصناعة ألواح النحاس التي كانت تبطن بها السفن، وبعد تمكنه من بناء ترسانة بولاق أنشأ في 1825 معامل الجبال التي ترسل لترسانة الإسكندرية وقلاع المراكب ومصنع الطرابيش[2].

التجارة: اهتم محمد علي باشا بشكل كبير بالقطاع التجاري خاصة وأن الإنتاج الزراعي والصناعي كان تحت سيطرة وإشراف الدولة التي كان لها الحق في شراء وبيع المنتوجات، وهذا ما نتج عنه احتكار التجارة داخليا وخارجيا، فالاحتكار الداخلي والذي سماه الجبرتي بالتحجير، وكان يخص المحاصيل الزراعية وعلى رأسها تجارة القمح التي كانت تتم مع الانجليز، بالإضافة إلى احتكار تجارة الفول، الكتان، الشعير، الذرة ...، كما أن هذا

[1] عمر الاسكندري، المرجع نفسه، ص 149.

[2] صلاح أحمد هريدي، الحرف والصناعات في عهد محمد علي، دار المعرفة، القاهرة، 1985، ص 149، 150، 151، 153.

الاحتكار امتد إلى السلع الأخرى، كالجلود، الملح، الصوف، السكر...[1]، أما فيما يتعلق بالاحتكار الخارجي، فإن التجارة الخارجية كانت تحت سيطرة محمد علي، وقد اتبعت الحكومة مجموعة من الطرق لبيع منتجاتها، وكان ذلك إما عن طريق البيع المباشر للتجار الأجانب بمصر، أو البيع في الخارج لحساب الحكومة، أو البيع الذي كان نتيجة الحاجة الماسة للأموال، أو عن طريق بيع المزايدة الذي مكن محمد علي من الحصول على أفضل الأسعار، نتيجة المنافسة الكبيرة بين التجار الأجانب حول السلع المعروضة للبيع[2].

ان أهم ما ميز التجارة في هذا العهد هو كثافة التعامل مع انجلترا، والتي كانت تستورد القمح، الشعير، والقطن المصري بشكل كبير، كما أن التبادل التجاري في هذه المرحلة شهد نشاطا كبيرا سواء كان داخليا أو خارجيا، وذلك نتيجة تطور طرق المواصلات البحرية مع الدول الأوروبية، وكذا إعادة إحياء طريق التجارة بين الهند وأوروبا عبر البحر الأحمر، مرورا بخليج السويس[3] .

ب- في المجال العسكري:

لقد حظي المجال العسكري باهتمام كبير من قبل محمد علي باشا، باعتباره القاعدة الأمنية الأساسية لبناء دولة مصر الحديثة، وعليه فقد أنشأ مؤسستين عسكريتين واحدة برية والأخرى بحرية، فالبرية تتمثل في الجيش المتكون من العناصر غير النظامية والمتمثلة في الألبانيين والأكراد "الباشا بوزق" لكن الخطر الذي أصبح يشكله هذا الجيش نتيجة كثرة التمرد والعصيان[4]، دفع بمحمد علي لإنشاء جيش نظامي حديث على الطريقة الأوروبية، وقد

[1] المرجع نفسه، ص 44.

[2] صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص، ص 44، 52، 53.

[3] المرجع نفسه، ص 51.

[4] عبد الرحمان الرافعي، عصر محمد علي دار المعارف، القاهرة، ص 322.

تم إنشاء أول مدرسة بمدينة أسوان تحتوي على أربع ثكنات عسكرية يتلقى فيها الجنود كل فنون وأنواع التدريب العسكرية في مدة ثلاث سنوات، حتى ينالوا رتبة الجندي[1].

بالإضافة إلى ذلك عمل محمد علي باشا على تجنيد السودانيين، عوضا عن المصريين، خوفا من ثورتهم ضد هذا القرار المفاجئ لهم، لكن هذه الفكرة باءت بالفشل وذلك بسبب عدم تأقلمهم مع الأجواء[2]، لذلك سارع في تجنيد الأهالي المصريين، الذين قابلوا الفكرة في البداية بالرفض لكن بعد ما أدركوا الحياة الميسورة في الجيش انظموا لصفوفه، وقد كانوا يتلقون تدريباتهم على يد المعلمين الأوروبيين، حتى يكونوا طائفة من الضباط المصريين لكن عملية التدريب شهدت في بدايتها العديد من الصعوبات، لعل أبرزها قيام الجنود بحركات التمرد والعصيان لكن هذه الصعوبات لم تمنع من تخرج العديد من أولئك الضباط[3].

وقد باشر محمد علي باشا مشروعه في إعداد هذا الجيش الحديث في 1812 بمساعدة من الكولونيل الفرنسي سيف والذي أصبح اسمه فيما بعد يسمى سليمان باشا الفرنساوي بعد إسلامه، حيث أسس الأخير مدرسة للتعليم الحربي بأسوان، وبعد اتساع عملية التجنيد استعان محمد علي بطائفة من الضباط الفرنسيين وعلى رأسهم الجنرال بوبر، لتدريب المجندين المصريين حتى تكونوا وأصبحوا في رتبة ضباط، كما أرسل طائفة من الشبان لأوروبا لدراسة وتعلم الفنون الحربية، على أن يحلوا محل هؤلاء الأجانب بمجرد عودتهم لمصر وبالإضافة إلى ذلك فانه قد أنشأ العديد من المدارس الحربية العسكرية مثل مدرسة أسوان، قصر العشي، مدرسة المشاة بالخانكة، والفرسان بالجيزة...[4].

---

[1] عمر طوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي، الجيش البري والبحري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 3.

[2] عبد الرحمان الرافعي، المرجع السابق، ص 329، 330

[3] عمر طوسون، المرجع السابق، ص 05

[4] عمر طوسون، المرجع السابق، ص 04، 07

والى جانب ذلك فقد اهتم محمد علي باشا بشكل كبير ببناء القلاع والحصون لحماية ثغور البلاد كما قام بإعادة تجديد وإصلاح القلاع القديمة في صورة قلعة صلاح الدين بالقاهرة وقد أدى هذا لتكوين جيش قوي وحديث، حيث تراوح عدده الإجمالي في 1839 بحوالي 235880 جندي بين الجنود النظاميين، الرديف، العمال، وطلبة المدارس[1].

أما بخصوص الجيش البحري، فقد نال هو الآخر اهتمام محمد علي، وتعود فكرة إنشاء أسطول بحري لسنة 1810 بسبب حروب محمد علي بالحجاز، الأمر الذي تطلب بناء سفن لنقل الجنود عبر البحر الأحمر، وبذلك أمر بإنشاء السفن بدار الصناعة، وما إن تجهز حتى تم نقلها لخليج السويس، وبذلك شكلت تلك السفن (18 سفينة) النواة الأولى للأسطول المصري في عهد محمد علي[2].

وبعد نهاية حرب الحجاز ضد الوهابيين، أدرك محمد علي باشا أهمية الأسطول البحري في حماية السواحل المصرية، خاصة وأن هذه الأخيرة في البحر الأبيض المتوسط كانت عرضة لخطر السفن اليونانية، لذلك سارع السلطان العثماني لإهدائه سفينتين شكلت فيما بعد أيضا النواة الأولى لأسطول البحر المتوسط قبل أن يشتري محمد علي بعض السفن الأوروبية ويوصي بإنشاء البعض الآخر في الثغور الأوروبية وتسليحها بالمدافع[3] .

بالإضافة إلى ذلك فقد أحضر محمد علي مجموعة من الضباط والمعلمين الفرنسيين والايطاليين لتعليم وتدريب الملاحين المصريين، كما أنشأ ترسانة بالإسكندرية لبناء السفن على الطراز القديم تحت إدارة شاكر أفندي الاسكندري، وبمساعدة المهندس الحاج عمر المصري، والذي ذاع صيته وسط الأهالي في فن عمارة السفن كما استعان بضابط السفن

[1] عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 360، 362.

[2] المرجع نفسه، ص 363، 364.

[3] عمر طوسون، المرجع السابق، ص 65.

الحربية الفرنسية بسيون، والذي عرض خدماته على الحكومة المصرية[1]، حيث تم تعينه في البداية ملاحظا للسفن التي أوصى بصناعتها في الترسانة الأوروبية قبل أن تتم ترقيته إلى رتبة الباكوية كما أحضر المهندس سيريزي من ميناء طولون، وجعله رئيس دار الصناعة الحديدية، قبل أن يرقيه هو الأخر لرتبة الباكوية[2]، كما عهد محمد علي إنشاء إدارة للأساطيل والتي أشرف عليها صهره محرم بك محافظ الإسكندرية، وعليه تكونت بحرية الدولة المصرية في البحر المتوسط، والتي شاركت في حرب اليونان إلى جانب الأسطول العثماني في حربه ضد اليونان والقوى الأوروبية[3] .

3 – حروب محمد علي:

أ– حرب الحجاز(الحروب الوهابية):

تعتبر هذه الحروب من أكبر الفتن الدينية التي شهدتها المنطقة العربية، حيث أضرم نارها أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب الذي أراد نشر مذهبه الوهابي، إلا أن الكثير عارضوه ما دعاه للجوء إلى الدرعية بنجد أين حماه حاكمها محمد بن سعود، والذي اعتنق هذا المذهب، وعمل على نشره بهدف مد سلطانه على البلاد العربية، وتحقيق مصالحه الشخصية وبذلك امتد سلطانه وسلطان ابنه عبد العزيز على جميع بلاد نجد ، ثم حوّل أنظاره إلى وادي الفرات ودجلة، ولكنه انهزم عند مواجهته لوالي بغداد[4].

وفي سنة 1811 قام بمهاجمة مدينة كربلاء ثم بعدها بعام دخلها دون أي معارضة من شريفها، لكنه تم اغتياله من قبل أحد المتعصبين من الأعاجم، ليخلفه ابنه سعود الثاني،

[1] عمر طوسون، المرجع نفسه، ص 66.

[2] عبد الرحمان الرافعي، المرجع السابق، ص 36.

[3] المرجع نفسه، ص 366.

[4] عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص 128.

والذي بلغت في عهده المملكة الوهابية أوج قوتها[1]، وعلى اثر ذلك كلف الباب العالي محمد علي باشا بالقضاء على الحركة الوهابية، أين قام بتجهيز حملة بقيادة ابنه طوسون في 1812، بعدما اتفق الطرفان على محاربة الوهابيين وقد مكنت هذه الحملة محمد علي من السيطرة على طرق الحج والتجارة نحو مكة، كما مكنته من ضم العديد من الثغور العربية، كثغر "ينبع" كما تسلم مكة من شريفها طواعية، وأثناء سيره نحو المدينة التقى بجموع الوهابيين، أين انتصر عليهم في بدر والصفراء، لكنه انهزم في بلدة الجديدة والتي كاد من خلالها الوهابيون أن يقضوا على جيش طوسون، وهذا ما دفع بالأخير إلى أن يلجأ إلى ينبع هو و جنوده، لكن الجنود الألبانيين بعد هذه النكبة هربوا من الحرب، ما دفع بمحمد علي فيما بعد بنفيهم جميعا من مصر[2].

وفي عام 1812 أرسل محمد علي المدد لجيش طوسون لفتح المدينة، فنجح في ذلك بعدما تمكن من استمالة القبائل القاطنة بينها وبين ينبع، وبذلك خلص المدينة من الوهابيين وألحق الضربة القاضية بسعود الثاني، ليتجه نحو جدة التي تمكن من الاستيلاء عليها، ثم تابع سيره نحو مكة التي دخلها طوسون وسط إكرام من قبل شريفها الذي سلمه مفاتيح الكعبة، ليقوم الأخير بتسليمها لوالده محمد علي، على أن يرسلها الأخير للباب العالي، ويبشره بعودة الحرمين الشريفين لسلطته[3] .

بعد ذلك شرع طوسون في تتبع أثر الوهابيين بين داخل البلاد، لكنه تلقى هزيمة نكراء في تربة الواقعة شرق مكة، الأمر الذي دفع بمحمد علي باشا للحضور الى ميدان الحرب، وتولي قيادة الجيش، وما إن وصل الحجاز في 1814م حتى أمر ابنه طوسون بالقبض على

[1] عمر الاسكندري، المرجع الذي سبق ذكره، ص 129.

[2] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 93، 130.

[3] عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص 130.

شريف مكة الذي حامت الشكوك حوله في تواطئه مع الوهابيين، ليرسله إلى القسطنطينية أين تم قتله[1].

بعد وفاة زعيم الوهابيين سعود الثاني في 1814 تمكن محمد علي من هزمهم في واقعة ثرية في 1815، لكنه ما لبث أن عاد إلى مصر نظرا للأحداث التي أصبحت تعرفها المنطقة، كهروب نابليون من منفاه وتخوف محمد علي من تعرض مصر لغزو جديد، بالإضافة تمرد أحد ضباطه ألا وهو لطيف باشا، كما أن هذه التطورات دفعت أيضا ابنه عمر طوسون للعودة إلى مصر إلا أنه توفي بداء الطاعون في 1816م[2].

وبعد وفاة طوسون تولى إبراهيم باشا قيادة الحملة نحو الحجاز في 1816م وقد وصل إلى ينبع واتجه نحو المدينة المنورة، ولما علم عبد الله بن سعود بذلك جهز جيشا قوامه أربعين ألف مقاتل، لكن هذه القوات انهزمت في أول مواجهة ضد إبراهيم باشا، وكان ذلك في واقعة الريس، قبل أن يحاصر إبراهيم باشا الدرعية في 1818، ويقوم بتدميرها، الأمر الذي دفع بعبد الله بن سعود للرضوخ له والاستسلام في 1818م، وقد أرسل الأخير إلى القاهرة قبل أن يرسل إلى القسطنطينية، أين تم إعدامه، وبذلك انتهت الحرب بعد القضاء على سلطة الوهابيين نهائيا[3].

ب- حرب ضم السودان في 1820

بعدما تمكن محمد علي باشا من القضاء على الوهابيين بالحجاز بصفة نهائية، وجه أنظاره نحو السودان، بهدف السيطرة عليها لعدة أسباب نذكر منها:

- تحصن جنود المماليك في دنقله بالسودان، بعدما تعرضوا لمذبحة محمد علي.

[1] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 95.

[2] المرجع نفسه، ص 95.

[3] عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص 132، 134.

– رغبة محمد علي في التخلص من الجنود الألبان الذين أصبحوا يشكلون خطرا على حكمه، بسبب خروجهم عن طاعته، وتآمرهم عليه.

– رغبة محمد علي في تجديد طرق القوافل التجارية نحو السودان

– الاستفادة من الذهب والمعادن النفيسة التي تتمتع بها السودان[1].

وقد بدأ محمد علي في الإعداد للحملة في يونيو 1820، بقيادة اسماعيل باشا فخرج هو وجنوده باتجاه دنقلة، لكن مع سماع المماليك بخبر اقتراب الحملة منهم، هربوا إلى أقصى السودان، وبذلك اتجهت الحملة جنوبا، لكنها لقيت مقاومة شديدة من قبائل الشفية والشائفية، والتي اشتبكت مع قوات اسماعيل باشا في كولن، وانهزمت على اثرها هزيمة نكراء ليواصل توغله إلى المناطق الأخرى كشدي، الخرطوم، سنار، والتي تمكن من الاستيلاء عليها دون أدنى مقاومة، وبذلك تمكن من تثبيت حكم محمد علي بادي، على أن يكون هو نائبه على هذه الأرض[2].

وبعد تمكن اسماعيل باشا من تثبيت حكمه على البلاد الخاضعة له، قام بإرسال الآلاف من العبيد السودانيين إلى مدرسة أسوان لتعلم الفنون الحربية الحديثة، لكن ما إن ثبت حكمه حتى انتشر المرض في وسط الجنود وهذا ما أضعف الجيش، وقلل من عزيمة الجنود، وكل هذا دفعه للاستنجاد بأبيه للتصدي للهجمات المعادية له، وفي 1821م وصلت الإمدادات العسكرية بقيادة إبراهيم باشا لتنقسم القوات المتواجدة بالسودان[3] لقسمين هما: قوات إبراهيم باشا، والتي سارت على النيل غربا، وقوات اسماعيل باشا التي اتجهت شرقا، نحو أعالي

[1] عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص 135، 136.

[2] المرجع نفسه، ص 136.

[3] المرجع نفسه، ص 136، 137.

النيل الأزرق، حتى وصل إلى تومات، أما إبراهيم باشا فقد عاد أدراجه بسبب المرض الذي تعرض له[1] .

في 1822م أرسل محمد علي جيشا ثالثا بقيادة صهره الدفتردار محمد بك، هذا الأخير تمكن من هزم بعض القبائل بمدينة بازا وضم إقليم الأبيض لمصر كما تمكن من الانتقام من ملك شندي "نمر" والذي انقلب على اسماعيل باشا وحرقه، كما قام بحرق مدينة شندي بعد إخضاعها، وبعد ذلك قام ببناء مدينة الخرطوم في 1823 وجعلها حاضرة للبلاد، ليعود في 1824 لمصر، ويتولى رستم بك حكم السودان[2].

ومنه يتضح لنا أن الحملة على السودان، لم تحقق الأهداف المرجوة كالسيطرة على طرق التجارة ومناطق الذهب، لكنها مكنت محمد علي باشا من السيطرة على البحر الأحمر وتحويله لبحيرة مصرية[3]، فضلا عن مكاسب أخرى كثيرة زادت في تدعيم قوته وتوسيع امبراطوريته.

ج- حرب اليونان (1823- 1828):

في سنة 1823م تعرضت الدولة العلية لثورة من طرف اليونانيين، بهدف إنهاء السيطرة العثمانية على بلادهم، وقد امتدت هذه الثورة إلى جزيرة المورة في 1823، وهذا ما دفع بالسلطان محمود الثاني، لإرسال قوات عسكرية بقيادة خورشيد باشا، لقمع هذه الثورة، لكن هذه الثورة امتدت أكثر لتشمل جميع جزر الأرخبيل اليونانية، وهذا ما جعل السلطان العثماني وقواته، عاجزة عن إيقاف هذه الثورة التي كادت أن تنتهي باستقلال اليونان، لولا تدخل محمد علي باشا بأمر من السلطان لإخماد هذه الثورة[4].

[1] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 106.

[2] عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص 137.

[3] محمد رفعت، المرجع السابق، ص 107.

[4] عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص 167.

ولأجل تحقيق محمد علي مصالحه الشخصية، وافق على طلب السلطان في التدخل لإخماد ثورة اليونان، مقابل حصوله على جزيرة المورة، فجهز محمد علي أسطولا كبيرا بقيادة ابنه إبراهيم باشا الذي غادر ميناء الإسكندرية في 1824م، والتقى بالأسطول العثماني في جزيرة رودس لبداية الاقتحام والهجوم، لكن إبراهيم باشا اضطر للجوء إلى جزيرة كريت لتنظيم قواته، وفي فيفري 1825م، نزل بميناء مودن، محققا أولى الانتصارات العثمانية-المصرية، قبل أن يحكم سيطرته على مدن كورون، مودن، نفارين، تريبولس، حتى انه لم ينته عام 1825م حتى استولى على بلاد المورة بشكل كامل[1] .

بعد ذلك انتقل إبراهيم باشا لشمال اليونان لمساعدة رشيد باشا في حصار موسولنجي، لكن ذلك الحصار باء بالفشل، وفور وصول إمدادات محمد علي لابنه حتى استولى على الجزر الواقعة عند مدخل الميناء، مما سمح له بغلقه ومحاصرته كاملا، وقد كلل ذلك الحصار بالنجاح بعد عام وثلاثة أشهر، حيث انتهى بفتح مدينة مسولنجي، ثم السيطرة على أثينا وبذلك أخمدت الثورة اليونانية بشكل كامل في جوان 1827، بعد خضوع كل المدن اليونانية للسلطة العثمانية، وقد تم تعيين إبراهيم باشا واليا على المورة[2].

وبعد تمكن الجيشان المصري والعثماني من فتح مدينة موسولونجي، انفصل عن بعضهما البعض، حيث عاد الأول لمدينة المورة، فيما واصل الثاني سيره إلى أثينا، والتي تمكن من السيطرة عليها في نفس السنة بعد الحصار الذي فرض عليها، كما عزم محمد علي باشا على اعداد حملة جديدة للقضاء على أخر معقل للثورة في جزيرة هيدرا واسبيتزيا بجزر بحر الارخبيل، وقد تم حشدهم بالإسكندرية قبل أن تنظم العمارة التركية والسفن الحربية المصرية التي أغارت على مارسيا وليفورنو إليها[3].

---

[1] عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص 167.

[2] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 92.

[3] عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 103.

لكن لابد من الإشارة إلى أن القوى الأوروبية قبل سقوط مدينة موسولونجي قررت التدخل لإنقاذ الثورة اليونانية، لكن بعد سقوط المدينة، تم عقد معاهدة لندن في 6جويلية 1827 بين روسيا، فرنسا وبريطانيا، والتي قررت هذه الدول من خلالها التدخل بين الدولة العثمانية واليونان، حيث طلبوا من الباب العالي منح الاستقلال الذاتي مع بقاء سيادته على اليونان، ولعلمهم برفض الدولة العثمانية لطلبهم، أرسلوا أساطيلهم إلى اليونان لفرض مطالبهم بالقوة على الدولة العثمانية من جهة، ومن أخرى لمنع السفن المصرية والعثمانية من الوصول إلى اليونان[1].

وفي الوقت نفسه جهز محمد علي حملة عسكرية في 1827 بقيادة محرم بك، لمساعدة إبراهيم باشا وقد رست هذه الحملة في ميناء نفارين إلى جانب الأسطول العثماني بقيادة الأميرال طاهر باشا والذي أرسلته الأستانة، وبذلك تم الاستعداد للدخول إلى جزيرة هيدرا، حيث تمكنت القوات العثمانية–المصرية من إيجاد ثغرة سمحت لهم بدخول الجزيرة، وإنزال قواتهم بها، لكن قوات الحلفاء قررت دخول ميناء نفارين، والرسو بالقرب من السفن المصرية والعثمانية، وقد حاولت هذه الأخيرة منعها لكن دون جدوى[2].

وقد أدت هذه الأحداث لوقوع معركة نفارين في خريف 1827م والتي اتخذت فيها قوات الحلفاء الأوروبية تحرشات الأسطول المصري والعثماني على سفنها كذريعة لمهاجمة أسطول إبراهيم باشا في 19 أكتوبر 1827، لكن الظروف الطبيعية لم تسمح بذلك، لتتأجل المعركة إلى يوم 20 أكتوبر 1827[3].

لكن رغم اختلاف الروايات في من أطلق الرصاصة الأولى إلا أن ذلك لا يخفي الحقيقة فالواقع يثبت أن قوات الحلفاء، هي من كانت لها النية في الحرب، سواء أطلقت الرصاصة

[1] عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 204.

[2] المرجع نفسه، ص 205.

[3] المرجع نفسه، ص 208، 209.

الأولى من السفن المصرية أم لا، وقد بدأت المعركة بحدود منتصف الساعة الثالثة بعد الزوال، وقد استمرت لغاية الساعة الخامسة مساءا، حيث اشتعلت نيران الحرب، وتعالت أصوات الانفجارات والقنابل، ولكن برغم من قوة وتنظيم الحلفاء إلا أن الجيوش العثمانية والمصرية أظهرت قوة وشجاعة كبيرة أثناء المعركة، والتي انتهت بانتصار الحلفاء وتمكنهم من القضاء على العمارتين العثمانية والمصرية[1].

د- حروب الشام:

حرب الشام الأولى:

تعود جذور حرب الشام الأولى بين مصر والدولة العلية، لطلب محمد علي باشا والي مصر من والي عكا عبد الله الجزار، بإعادة الفلاحين المصريين الذين هاجروا نحو سوريا، هروبا من الضرائب الكبيرة التي فرضت عليهم لكن والي عكا رفض ذلك[2]، وهذا ما دفع بمحمد علي لتجهيز حملة عسكرية بقيادة ابنه إبراهيم باشا على الشام وقد تمكن جيش إبراهيم باشا من ضم مدن غزة، حيفا، يافا، نابلس، وبيت المقدس، كما فرض حصارا عسكريا على مدينة عكا، وفي تلك الأثناء وصل جيش كبير من الباب العالي بقيادة عثمان باشا، لتأديب إبراهيم باشا واسترجاع المدن التي استولى عليها وقد التقى الجيشان في معركة حمص، والتي تلقى فيها عثمان باشا وجيشه هزيمة قاسية على يد القوات المصرية، أجبرته على الاحتماء بمدينة حماه[3].

وللإشارة فقط فإن إبراهيم باشا اضطر إلى فك الحصار على مدينة عكا مؤقتا لمواجهة الجيش العثماني، لكن ما إن انتصر عليه في حمص حتى عاد وفرض الحصار من جديد

[1] عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 210، 212.

[2] محمد فريد بك، ص 137.

[3] المرجع نفسه، ص 139، 141.

على المدينة، وقد أطلق نيران كثيفة على أسوارها المحصنة، حتى تمكن من إيجاد فتحات سمحت له بالدخول إلى المدينة والاستيلاء عليها في 27 ماي 1832م[1].

وقد أجبرت هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها إبراهيم باشا على الجيش العثماني، الباب العالي على إرسال جيش أخر بقيادة حسين باشا، لإيقاف التقدم المصري لكن حسين باشا رفض مواجهة إبراهيم باشا في معركة مباشرة حيث أنه أرسل محمد باشا والي حلب لمواجهته، لكن الأخير لم يحسن تنظيم جيشه، وهذا ما استغله سليمان بك، والذي هاجمه بشراسة في 9 جويلية 1832م، مجبرا إياه على العودة أدراجه، وقد سمح هذا الانتصار الذي حققه سليمان بك لإبراهيم باشا قائد الجيش المصري، بدخول حلب دون أدنى مقاومة، وفي الوقت نفسه انسحب حسين باشا نحو جبال طوسون، بعد ما منعه سكان حلب من دخول المدينة، لكن الخبرة الكبيرة التي كان يتمتع بها إبراهيم باشا والأخذ بمشورة مساعديه، مكنته من الانتصار على جيش حسين باشا العثماني، واحتلال جبال طوسون، وقد كانت هذه الحادثة بمثابة الطامة الكبرى للدولة العلية[2].

هذه الهزيمة القاسية التي لحقت بالجيش العثماني في الشام على يد قوات إبراهيم باشا، دفعت بالباب العالي لإرسال جيش آخر بقيادة رشيد باشا، لإيقاف هذا التقدم لكن في الوقت نفسه، واصل إبراهيم باشا تقدمه، بعدما تمكن من ضم أنطاكية، أظنة، ومدينة قونية التي أقام فيها، وفي 18ديسمبر 1832 وصل رشيد باشا قائد الجيش العثماني، وقواته غير المنظمة ومختلطة الأجناس لمدينة قونية، وهناك وقعت معركة قونية، والتي تلقى فيها الأخير هزيمة مدوية على يد الجيش المصري، كما وقع أسيرا[3].

[1] محمد فريد بك، المرجع السابق، ص 142.

[2] المرجع نفسه، ص 142، 145.

[3] المرجع نفسه، ص 146، 147، 149.

هذه الانتصارات الكبيرة لإبراهيم باشا قائد الجيش المصري في بلاد الشام، خاصة في معركة قونية، جعلته قريبا من الوصول إلى الأستانة والاستيلاء على الحكم في الدولة العلية، وهذا ما اضطر الدولة العلية إلى الاستعانة بالقوى الأوروبية ممثلة في فرنسا وبريطانيا لإيقاف هذا التقدم، وقد تمكنت تلك القوى من إبرام مصالحة بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا، والتوقيع مع معاهدة كوتاهية، التي تنازلت فيها الدولة العلية لمحمد علي باشا على حكم ولايات الشام، وكذا كريد، وقسم من أظنة[1].

-حرب الشام الثانية:

الهزائم الكبيرة التي تلقاها الجيش العثماني في حرب الشام الأولى ضد قوات محمد علي باشا، دفعت بالسلطان محمود الثاني للرغبة في الانتقام، واستعادة هيبته من خلال تأديب الوالي المتمرد محمد علي باشا، واستعادة الولايات والمناطق التي استولى عليها، لذلك سعى السلطان لكسب التأييد الأوروبي قبل الدخول في هذه الحرب، وقد بدأت هذه الحرب بمناورة خفيفة للجيش العثماني، والتي دفعت بقائد الجيش المصري لطلب الدعم والإمداد من القاهرة[2].

لكن الحرب الحقيقية بدأت في معركة نصيبين في 24- جوان- 1839م، عندما هاجم إبراهيم باشا الجيش العثماني بالمناطق غير المحصنة، مما أدى إلى انهيار الأخير بعدما قتل وأسر عدد كبير منهم، كما عزم إبراهيم باشا على مواصلة التقدم نحو الأستانة لولا تدخل المبعوث الفرنسي لمحمد علي كاليه، والذي اقنع إبراهيم باشا، على عدم الإقدام على تلك الخطوة، بسبب رفض القوى الأوروبية لذلك، وبهذه الهزيمة دخلت الدولة العلية أسوء مرحلة في وجودها (23 جوان- 15 جويلية 1839)، والتي تمثلت في وفاة السلطان محمود

[1] محمد فريد بك، المرجع السابق، ص 150.

[2] محمد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، القاهرة، 2001، ط1، ص 157، 161.

الثاني، وهزيمة الجيش العثماني في معركة نصيبين التي جعلت من إبراهيم باشا على مقربة من الأستانة، استسلام قائد الأسطول العثماني أحمد فوزي باشا لمحمد علي في 14 جويلية 1839، بعد رفضه تولي عبد المجيد"17عام" الحكم تحت وصاية خسرو باشا باشا ذو السمعة والعلاقة السيئة مع باشاوات الدولة[1].

هذا الوضع المزري جعل الدولة العلية محل شفقة من العدو قبل الصديق، حيث أنه في ظرف أقل من ثلاثة أسابيع فقدت سلطانها، أسطولها وجيشها، وكاد جيش محمد علي بقيادة إبراهيم باشا أن يصل إلى الأستانة، ويستولي على الحكم، لولا تدخل القوى الأوروبية لنصرتها، والتي أجبرت قوات محمد علي على إخلاء المدن التي احتلها في الشام، بعدما تحالفت قوات الانجليز، النمساويين، والعثمانيين ضده، وألحقت به هزائم كبيرة، خاصة بعد تخلي الفرنسيين عنه[2]، وهذا ما أجبره على التوقيع على معاهدة لندن في 15 جويلية 1840، والتي نصت على منحه حكم ولاية مصر طول حياته له ولورثته، مقابل تنازله عن بلاد الشام، وكذا الأسطول العثماني[3].

[1] محمد عبد الستار البدري، المرجع السابق، ص 164، 165.

[2] المرجع نفسه، ص 210.

[3] محمد فريد بك، المرجع السابق، ص 206.

الفصل الثاني:

محمد علي باشا والحركة التعليمية في مصر

المبحث1: التعليم

المبحث2: الترجمة والطباعة

المبحث3: البعثات العلمية

المبحث الأول: التعليم

01- إصلاحات محمد علي التعليمية:

إن ما ميز فترة أواخر عهد المماليك بمصر هو الانحطاط في جميع الميادين، فلقد ساد الجهل وسط السكان، ويعود ذلك إلى طبيعة الحكم المملوكي الاستبدادي ، فلقد تميز هذا الأخير بعدم اهتمامه بالتعليم إضافة إلى الاستبداد كما ذكرنا آنفا ، ولقد كان التعليم منحصرا على ما تقدمه المساجد والزوايا وبطرق تقليدية ، لكن مع تولي محمد علي باشا الحكم في مصر سنة 1805م، تنبه إلى دور التعليم في إصلاح أوضاع الأمة مما جعله يقوم بعدة إصلاحات رغم عديد المشاكل والعقبات التي اعترضته كامتناع الآباء عن إرسال أولادهم لدور التعليم ، ومن أجل تجاوز ذلك قرر التكفل بنفقاتهم التعليمية ، الإطعام ، والملبس، وكذا صرف مرتبات شهرية لهم، قصد تحبيب التعليم في قلوبهم ، لكن الغريب في الأمر أنه كان يأخذ الأطفال لدور التعليم بالسلاسل لرفضهم الالتحاق بها[1].

إن ما ميز إصلاحات محمد علي في قطاع التعليم أنه لم يجعله خاصا بالطبقة الأرستقراطية دون الطبقات الأخرى من المجتمع المصري ، بل بعثه في نفوس عامة المصرين ، من فلاحين ، وحرفيين، تجار، وغيرهم، والذين كما أشرنا سابقا، رفضوا في البداية السماح لأبنائهم الالتحاق بمدارس محمد علي التعليمية [2].

ولقد أعتمد محمد علي لتطبيق إصلاحاته التعليمية وتجسيدها على أرض الواقع على ثلاث أنواع من المدارس ، وهي المدرسة الابتدائية، التجهيزية والخاصة ، حيث أنشأ 50 مدرسة ابتدائية على كامل التراب المصري ، والتي تراوح عدد طلبتها ما بين 10 آلاف و 11 ألف تلميذ ، كما أنشأ كلية الأمراء، وهي المدرسة المخصصة لتعليم نخبة أبناء الأمة من أبنائه وأبناء الأمراء ، وقد بلغ عدد طلبتها حوالي 500 تلميذ [3]. إلى جانب هذا أسس محمد

[1] عمر الاسكندري وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996، ص 155.

[2] محمد صبري، تاريخ مصر الحديثة من محمد علي إلى اليوم، القاهرة، مطبعة الكتب المصرية، 1926، ص 52.

[3] عمر الإسكندري وآخرون، مرجع سابق ص (155،156) على التوالي.

علي مدارس متخصصة ، ولعل أبرزها" مدرسة الطب" التي كانت أعظمها فائدة للبلاد ، كونها قضت على التمائم ، والسحر...، وغيرها من أنواع الشعوذة التي كان يتطبب بها المصريون ، ويعود الفضل في تأسيس هذه المدرسة لكلوت بك ، أحد النجباء الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الدولة المصرية ، وقد أنشئت هذه المدرسة في 1827م بأبي زعبل ، بهدف ترقية علم الطب بالبلاد، وحتى يتم تكوين أطباء أكفاء ، لسد حاجيات الجيوش البرية والبحرية [1].

ولقد كتب كلوت بك تقريرا بهذا الخصوص جاء فيه :" يجب أن يكون لمصر مدرسة في الطب يكون تلامذتها من المصريين المخلصين ، الذين يغارون على بلادهم ويحبون تقدم وطنهم ، ويتوصل بذلك إلى إنشاء مستشفى عمومي يتعلم فيه 150 شابا ممن لهم إلمام تام بمعرفة اللغة العربية قراءة وكتابة وبمبادئ الحساب ، ويجب أن تدرس لهم اللغة الفرنسية وأنواع الطب بفروعه ولاسيما الجراحة، وتكون مدة الدراسة بها أربعة سنوات ، ويختبر التلميذ في آخر كل سنة منها " [2]، فرحب محمد علي بفكرة هذا المشروع وجعله تحت وصاية كلوت بك .

أسس محمد علي باشا إلى جانب مدرسة الطب مدرسة للطب البيطري تحت رئاسة المسيو هامون ، ومدرسة الهندسة بالخنقاه برئاسة لامبير بك ، ومدرسة الموسيقى بالقلعة ، ومدرسة أخرى لتعليم الفنون والصنائع ، كما أنشئت مدرسة الألسن لتعليم اللغات الأجنبية، والتي قال فيها علي مبارك في كتابه الخطط التوفيقية ما يلي : " عرض رفاعة على محمد علي تأسيس مدرسة لتعليم اللغات الأوروبية ينتفع بها أبناء الوطن ، ويستغني بمن يتخرج فيها عن الدخيل ، فأجابه الى ذلك ووجه به إلى مكاتب القطر لينتخب التلاميذ لهذا الغرض فأسس المدرسة، وعند الامتحان، امتحن التلاميذ في اللغة الفرنسية وغيرها من العلوم المدرسية فظهرت نجابتهم ، ثم أنشأ قلما للترجمة ترجم فيه كثيرا من الكتب الأوروبية في كل

[1] عمر الاسكندري وآخرون، المرجع السابق، ص 156.

[2] المرجع نفسه، ص 157.

فرع من العلوم ، وكان لهذه المدرسة أيضا قسما تجهيزي خاص، فنبغ فيها رجال بارعون في إنشاء اللغة العربية والعلوم ، غير أن المدرسة ألغيت في عهد عباس باشا الأول "[1] .

كما أسس محمد علي باشا مدرسة للتعليم الزراعي ببلدة نبروة، قصد تحسين الزراعة ومواكبة التطورات العلمية في هذا المجال ، " وقد أحضر إليها المعلمين وآلات الفلاحة من أوروبا ، لتدريس هذا الفن علما وعملا ، إلا أن جهل الأهالي وقف عقبة في طريق سيرها ، فأضطر إلى شبر الخيمة ، لتكون تحت رئاسة المسيو هامون ، لكن ذلك لم يجد نفعا ، وبذلك أخذت في الاضمحلال حتى أغلق باب هذه المدرسة "[2].

إضافة إلى ما سلف ذكره من إنشاء للمدارس من طرف محمد علي باشا فإنه شجع العلماء والمعلمين الغربيين ، خاصة الفرنسيين منهم للقدوم إلى مصر ، قصد دراسة تاريخ الآثار المصرية ، ونخص بالذكر من هؤلاء العلماء العالم شمبليون ، الذي كرس كل حياته في حل رموز لغة الآثار المصرية "الهيروغليفية" ، حتى تمكن من ذلك في سنة 1821، بعد أن جاهد في سبيل ذلك جهاد الأبطال ، ثم العالم لسبيسوس ، والذي وضع قاموسا لتلك اللغة ، ثم العالم آمبير ، وبذلك تمكن هؤلاء العلماء من حل مشكلة عويصة في هذه اللغة ومهدوا الطريق لمن جاء بعدهم لدراستها "[3].

ولقد أنشأ محمد علي سنة 1832 م إدارة عامة للمعارف ، قصد الإشراف على شؤون التعليم وتنظيمه، بجميع جهات القطر المصري ، وهو ما يشابه في عصرنا وزارة التربية والتعليم، ولقد ساهمت هذه المدارس والبعثات العلمية في محاربة الجهل وتغيير أوضاع مصر، إذ ساعدت على تكوين طبقة مصرية مثقفة ، أصبحت بمثابة ركيزة النهضة ، من خلال ترجمة العديد من المؤلفات العلمية ، التي نشطت العقول بعدما جمدتها البدع والخرافات [4] .لقد أدرك محمد علي منذ البداية أن بناء دولة قوية لا يكون إلا بمواكبة

[1] عمر الإسكندري وآخرون، مرجع سابق، ص 157.

[2] المرجع نفسه ص، 157.

[3] المرجع السابق، ص 159.

[4] محمد صبري مرجع سابق، ص 57.

التطورات العلمية، والإصلاحات التي قام بها في التعليم وجعله مواكبا لما يوجد في المدارس الأوربية لدليل على ذلك.

02.أوضاع التعليم في عهد محمد علي:

لقد أحدثت إصلاحات قطاع التعليم التي قام بها محمد علي تغييرا كبيرا في أوضاع مصر، " فبعد أن كان التعليم من قبل قائما على الطريقة التقليدية محصورا في المساجد ، والزوايا والكتاتيب، قبل أن يحدث هذا التغيير ، ويتحول إلى المدارس الحديثة التي تم إنشاؤها، والتي تم من خلالها إحياء العلوم والآداب في مصر، وكذا إرسال البعثات العلمية لأوروبا"[1].

إن الهدف الأساسي لمحمد علي من وراء هذه الإصلاحات في قطاع التعليم هو مواكبة التطور الحاصل في الدول الأوروبية من جهة وبناء دولة حديثة قوية ، ولقد انعكست هذه الإصلاحات بصورة ايجابية على مصر، وذلك من خلال الانتشار الواسع للمدارس في المدن والقرى ولقد التحق بها كم كبير من التلاميذ ، من عامة الناس ، دون أي تمييز لطبقة عن أخرى ، وقد كان الهدف من تعليم عامة الناس ، هو إيجاد أنصار وموالين له ، أي لمحمد علي باشا هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان الهدف أيضا من وراء هذا هو خدمة أو في مصلحة الدولة دون أدني شك ، وذلك من خلال إعداد نخبة من عامة الناس ، إعدادا وافيا، كي يستلمون مهام موظفين في الحكومة "[2].

ولقد واجه محمد علي باشا العديد من الصعوبات، كون أن المصريين في البداية عارضوا سياسته التعليمية، لأن فكرة التعليم ارتبطت عندهم بالتجنيد ، ذلك أن كل طلاب هذه المدارس ما إن يتخرجوا من مدارسهم حتى يلحقوا بالجيش مباشرة ، والجندية كانت تعني عند المصريين البعد عن الأهل والديار ، وأنها تمثل الحياة المهنية الشاقة في بلاد لا يعلمون عنها شيئا[3].

---

[1] عمر الإسكندري، مرجع سابق، ص35.

[2] أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، مصر،1938، ص 40.

[3] أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 36، 37.

03.ظروف التعليم:

إن أهم ما ميز حياة التلاميذ في المدارس التي أنشأها محمد علي باشا، أنها كانت ذات طابع عسكري حازم ، فلقد كانوا يخضعون لنظام صارم ، من بداية اليوم الى الذهاب إلى قاعات التدريس وصولا إلى وقت الطعام والنوم، وكان يتم تقسيمهم وفق أرط وبلوكات، فمثلا تلاميذ التجهيزية يقسمون إلى ثلاثة أرط ، وكل أرطة تقسم إلى أربعة بلوكات وكل بلكة مؤلفة من 125 تلميذ ، وقد كانوا يتناولون ثلاث وجبات في اليوم مجتمعين في وقت مخصص لذلك ، وغالبا غذائهم يكون من الأرز واللحم والخضر، وتختلف كميته من المدرسة التجهيزية عن المدرسة الابتدائية أو الخصوصية [1].

أما فيما يتعلق بملابسهم ، فإن الحكومة هي التي تقدمها لهم ، وتختلف من مستوى إلى آخر، وفيما يتعلق بنومهم ، فإن تلاميذ الابتدائية كانوا ينامون على الحصير والسجادة التي تمنح لهم ، وبالنسبة لتلاميذ التجهيزية والخصوصية ، فإنهم ينامون على أسرة من حديد [2].

أما بالنسبة للكتب فكانت توزع على التلاميذ في بداية العام وكانت أثمانها تخصم من مرتبات التلاميذ ، وفي سنة 1842م أصبحت تقدم على حساب نفقة الحكومة ، ولكن في حالة إتلافه يخصم من مرتب التلميذ ، وبذلك فان الكتاب ليس ملكا للتلميذ ، بل يعطى له للاستفادة منه ، فإذا انتقل لفرقة أخرى يسلم لغيره ، وقد كانت تطبع في المطبعة الأميرية ببولاق ، كما كان لبعض المدارس الخصوصية مطابع خاصة بها كمدرسة الطب ، والمدفعية تتولى طبع الكتب الخاصة بها [3].

ولقد كان التلاميذ يمتحنون بطريقتين أو نوعين من الامتحانات وهما:

أ-.**الامتحانات المدرسية** : وهي التي تقام مرة في كل فصل ، أي ثلاثة أشهر ، ويقوم بإعدادها المدرسون ، تحت إشراف ناظر المكتب أو المدير ، وتقوم بعدها المدرسة بإرسال

[1] احمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، 458، 459.

[2] المرجع نفسه، ص 464.

[3] المرجع نفسه، ص 494.

النتائج إلى ديوان المدارس ، هذا الأخير لم يكن يولي اهتماما كبيرا لهذه الامتحانات ، بل يتركها بصفة عامة في أيدي المدارس مكتفيا بتحمل التلاميذ كل ثلاثة أشهر حتى يرى درجة تقدمهم وكفاءة المدرسين"[1].

ب- الامتحانات العامة : أما فيما يخص الامتحانات العامة ، فلقد كانت تعقد في نهاية العام الدراسي ، تحت إشراف الديوان، الذي يقوم بتعيين لجان الامتحانات الخاصة بالمدارس التجهيزية والخصوصية، عند اقتراب موعدها، وبعد الانتهاء من تكوين هذه اللجان يقوم الديوان بنشر إعلان في الجرائد المصرية يعلن فيها عن التواريخ التي تعقد فيها هذه الامتحانات "[2].

ولقد كانت لجان الامتحانات في بعض المدارس تقسم أعضائها إلى لجان فرعية ، يترأسها كبير أعضاء اللجنة العامة للامتحانات ، وتقوم بامتحان فريق من التلاميذ، ويطوف بلجان الامتحان ديوان المدارس ، تحت رئاسة عضو معين يقود شؤونها ، ويشرف على سير الامتحان ونظامه "[3] ، حيث أن هذه الامتحانات منها ما يتم بشكل شفهي مثلما هو الحال بمدرسة الطب، التي يختار طلبتها الأسئلة المقترحة من الصندوق ، وهنالك ما يستلزم الكتابة، أما في المدارس الحربية فإنها تتم علما وعملا ، حيث يتم امتحانهم في العلوم النظرية بالمدرسة ، أما بخصوص الامتحان التطبيقي ، فإنهم يخرجون إلى الفضاء الخارجي، قصد اختبار مهاراتهم في ركوب الخيل ، وتسديد الرماية ، واستخدام الأسلحة ...، وتتم هذه الاختبارات في مدة زمنية تتراوح بين 4 الى 5 أيام ، تنتهي بتقرير عن التلاميذ ودرجاتهم ، ويرفع ذلك التقرير إلى رئيس اللجنة والذي يرفعه بدوره إلى لجنة شورى المدارس، وبعد الاطلاع عليه من قبل تلك اللجنة يستدعى أعضاء استشاريين من نظار المدارس ، ليتم على ضوء ذلك إصدار قرارات تخص ذلك " [4].

---

[1] أحمد عزت عبد الكريم، المرجع سابق، ص 508.

[2] المرجع نفسه، ص 509.

[3] المرجع نفسه، ص 511.

[4] أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 512، 513.

وبعد اجتياز الامتحانات ، لا تمنح للتلاميذ درجات بل يتم تقسيمهم على طبقات ، "ألا وهي : أعلى وتعادل ممتاز ، عال " جيد" ، وسط " متوسط" ، دون " ضعيف" ، دون الدون "ضعيف جدا"، حيث أنه في المدارس الابتدائية ينتقل الذين تحصلوا على درجة عال ومتوسط لفرقة أخرى، أما الحائزون على درجة دون وما تحتها فيعيدون دروسهم ، ولكن في المدارس التجهيزية ، فإن المتحصلين على درجة متوسط يعيدون دروسهم ، أما الذين تحصلوا على الدون وما تحتها لمدة عامين متتالين فيفصلون يفصلون نهائيا ، وبعد استكمالهم لدروسهم وامتحاناتهم يحصلون على عطلة أسبوعية ، بالإضافة إلى العطلة السنوية التي تنطلق من أول من شهر رمضان إلى الرابع من شهر شوال [1].

فالي جانب التلاميذ الذين يشكلون عنصر مهم في الجانب التعليمي بمصر، هناك الإدارة المدرسية، التي تشرف على تسيير التعليم واحتوائه بالمدارس، كما أن الحكومة المصرية أنشأت عددا كبيرا من المدارس ، قبل أن تعد ما يكفيها من المدرسين ، لذلك لجأت لجلب واستقدام أساتذة أجانب من إيطاليا وفرنسا ،المواد التي لم تكن تدرس بالأزهر مثل : الرياضيات واللغات الأجنبية ، وبعد اتساع النطاق التعليمي أنشأت المدارس الابتدائية والتجهيزية ، والتي شهدت بروزا كبيرا للعنصر المصري في التدريس "[2].

إلى جانب ما ذكرنا آنفا ، فإن حكومة محمد علي باشا ركزت علي تكوين مجالس إدارية في كل مدرسة من المدارس التجهيزية والمدارس الخصوصية ، منها مجلس داخلي يتكون من مدير المدرسة ووكيلها ، وبعض الأساتذة ، ويدعى بمجلس شورى المدارس ، تم وضع اللوائح وتعيين لكل مكتب موظفون ، كناظر المكاتب ، الباش خوجة للمكاتب ، ومعلمو المكاتب [3].

[1] المرجع نفسه، ص (514،519).

[2] المرجع نفسه، ص536،

[3] أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 536.

أما فيما يتعلق [1]بموظفي المدارس التجهيزية والخصوصية ، ونظرا لكثرة تلاميذها والمواد التي تدرس فيها ، فقد وجد عدد كبير من الموظفين الفنيين الإداريين ، حيث نصت اللوائح أن يكون على رأس كل مدرسة تجهيزية مدير ، ووكيل وثلاثة من رؤساء الفرق و12 مدرسا للغات والتاريخ والجغرافيا ، أما موظفي الادارة فهم الناظر وكاتب الحسابات ، الأمناء، حلاقين ، خياطين ، كما يوجد بها مستشفى يتكون من طبيب ومساعده وكيل المساعد ، صيدلي ، ناظر، كاتب ....الخ " [2] .

[1]المرجع نفسه، ص 536،537.

[2]المرجع نفسه، ص 536،537.

المبحث الثاني: الترجمة والطباعة

1- الترجمة:

لقد اهتم محمد علي باشا بشكل كبير بالكتب والترجمة ، فإذا اطلع على كتاب وأعجبه ، يأمر في الحال بطباعته ، وتوزيعه على الأعيان والمكاتب ، ويعود ذلك إلى الاهتمام الكبير بهذه الكتب ، للرغبة في الانتفاع منها ماديا ومعنويا، وقد ساعد استدعاء الأجانب واستخدامهم في الحكومة المصرية على تنشيط حركة الترجمة في البلاد [1]، ولقد مرت الترجمة في مصر بثلاث مراحل وهي على التوالي :

أ- المرحلة الأولى (1805،1830):

وقد بدأت هذه المرحلة عندما قرر محمد علي باشا تزويد جيشه النظامي بالعنصر المحلي ، وإدخال تعديلات جوهرية على التعليم وفق ما يتماشى مع روح المدينة الأوروبية ، وهذا ما كان يستلزم الاستعانة بالأساتذة الغربيين ، وتقليدهم وظائف ومناصب مهمة سواء في الجيش ، المدارس، أو المصالح الحكومية ، ونظرا لاستحالة حدوث التفاهم بين المصريين والأساتذة الغربيين ، نظرا لجهل كل طرف لغة الآخر ، اتخذت الحكومة المصرية مجموعة من الإجراءات لتيسير العلاقة بين الطرفين ، قصد الشروع في العمل والإنتاج نذكر منها: ترجمة الكتب المدرسية من الإيطالية والفرنسية إلى اللغتين العربية والتركية، وإعادة طبع الكتب المترجمة الأسيتانة من قبل علمائها بمطبعة بولاق [2].

إن مشروع الترجمة الذي تبناه محمد على واجهته العديد من الصعوبات والعراقيل ، نذكر منها قلة اليد العاملة المؤهلة لنقل المؤلفات النادرة ، وكذا تعدد لغات التدريس إذ كانت اللغة الإيطالية هي السائدة في البداية إلى أن ضعف النفوذ الإيطالي وحل محله النفوذ الفرنسي ،

[1] جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن 19، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 26،27.

وحلت معه اللغة الفرنسية ، بالإضافة إلى الحاجة الماسة للمترجمين ، وكذا كثافة العمل على مترجمي المصالح الحكومية[1].

ولقد تم في هذه المرحلة إدراج اللغات الأجنبية في المدارس التجهيزية لتعليمها ، نخص بالذكر اللغتين الإيطالية والفرنسية ، وذلك لتهيئة التلاميذ للاستفادة من دروس أساتذتهم خاصة الأجانب ، ولتعجيل الاستفادة بفن الطب ، تم إنشاء مدرسة لتعليم اللغة الفرنسية ، والتي يلتحق بها التلاميذ في أوقات فراغهم ، لكن هذه الإجراءات باءت بالفشل ، لعدم توفر البيئة المناسبة لتعلم هذه اللغات ، وكل هذا دفع بمحمد علي باشا إلى إرسال بعض التلاميذ إلى البلدان الأوروبية لتعلم تلك اللغات ، وإتقان التكلم بها [2].

ب-المرحلة الثانية(1811، 1835):

وقد تم في بداية هذه المرحلة الاستعانة بالعديد من الأجانب في مختلف مجالاتهم، لتنفيذ برنامج النهضة ، لكن الحال لم يستمر على ما هو عليه ، لأن محمد علي باشا كان قد أرسل الكثير من الطلبة المصريين للتعلم في الخارج ، وبمجرد دعوتهم ، عينهم كمساعدين لأولئك الأجانب ، قبل أن يقلدهم إدارة المصانع ، المدارس والدواوين ، كما طلب منهم ترجمة الكتب النافعة التي درسوها في أوروبا بالتفصيل إلى اللغة العربية [3].

وتعد سنة 1836 م بداية التقليل من النفوذ الأجنبي في ميدان التعليم، وذلك بسبب الاستغناء عن الكثير من المعلمين الأجانب ، بسبب مرتباتهم الكبيرة ، والتي أثقلت كاهل الخزينة ، خاصة بعد توفر العنصر المحلي القادر على الحلول محلهم ، لكن لابد من الإشارة إلى أنه بعد الاستغناء عن هؤلاء المعلمين الأجانب وإحلال المصريين محلهم ، لم

[1] جاك تاجر، المرجع السابق، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص 31،32.

يطلب من الفئة الأخيرة تأليف الكتب بل طلبت منهم الحكومة المصرية ترجمة كل الكتب التي درسوها ، كي ينتفع منها جميع الطلبة [1].

ج- المرحلة الثالثة " إنشاء مدرسة الألسن":

إن عملية الترجمة تتطلب جهدا ووقتا من الموظفين وهذا ما جعل الحكومة المصرية تنشئ مدرسة الألسن سنة 1835 م ، لتتولى الشؤون والأعمال الخاصة بالترجمة بدلا مما كان معمولا به من قبل ؛ وبهذا تؤدي عمل الترجمة بطرق أكثر تنظيما قصد خدمة المدارس الحكومية ، وتولى رئاستها رفاعة بك رافع الطهطاوي ، وكان يساعده مراقبان ، أستاذان للغة العربية من الدرجة الأولى ، وأستاذ للغة التركية من الدرجة الأولى ، وثلاث أساتذة للغة الفرنسية ، وتتكون هذه المدرسة من 50 تلميذ ، 25 منهم من المكاتب الموجودة في الوجه البحري ، و25 منهم من المكاتب الموجودة في الوجه القبلي ، والذين اختارهم الشيخ رفاعة بك بانتقاء من المدارس التجهيزية [2] ؛ ولقد تراوحت مدة التدريس في هذه المدرسة خمس إلي ستة سنوات كأقصى تقدير ، إذ يتلقى تلامذتها دروسا في اللغة الفرنسية والعربية والتركية ، الهندسة والجبر، وهناك من يتلقى دروسا في الحساب بدلا من الهندسة والجبر ، وبعد تخرج الطلبة منها ، هناك البعض منهم من تولى تدريس اللغة العربية والفرنسية ، إلى غاية إنشاء قلم الترجمة برئاسة رافع بك ، قصد ترجمة أكبر قدر ممكن من الكتب وخاصة بعد تخرج عدد كبير من الطلبة من هذه المدرسة "[3].

2- الطباعة:

تعد الأستانة هي أول منطقة أدخلت إليها الطباعة في البلاد المشرقية، -باستثناء مطبعة دير قزحية بلبنان، وهي أول مطبعة بالعالم العربي، أسست سنة 1585، والتي طبعت كتاب الموتى، حول فراعنة مصر- وكان ذلك في سنة 1728م، ثم تلتها سوريا إذ أدخلت إليها

[1] جاك تاجر، المرجع السابق، ص 32،33.

[2] المرجع نفسه، ص 33،34.

[3] المرجع نفسه، ص 37.

عن طريق الإرساليات الدينية (الحملات التبشيرية) ، وأول مطبعة دخلت مصر كانت عن طريق الحملة الفرنسية ، لكن هذه المطبعة لم تعط الفرصة الكافية لتخرج منشوراتها ومطبوعاتها للشعب ، كما أنها أخرجت من مصر مع خروج الجملة الفرنسية منها ، وبذلك ظلت مصر خالية إلى غاية تولي محمد علي باشا حكم مصر ، وبعثه لإصلاحات عسكرية واقتصادية وثقافية وعلمية [1].

وتعود فكرة إنشاء مطبعة بولاق لسنة 1815م ، لكن التاريخ الرسمي لإنشائها ، ورغم اختلاف المؤرخين حول ذلك يعود إلى 1822م، وكما أختلف المؤرخين في تاريخ الإنشاء اختلفوا في تحديد الهدف من إنشائها من طرف محمد علي ، والهدف المتفق عليه هو أن المطبعة أنشئت لطبع القوانين واللوائح ، والمنشورات الإدارية ، التي كان محمد علي باشا يريد نشرها في مختلف مديريات القطر المصري [2].

وتعود فكرة أنشاء مطبعة بولاق حسب المسيو رينو والأستاذ بشاتلي أن الفضل في تنظيم مطبعة بولاق يرجع إلى نصائح الأب رفاييل زاخور، فيما ترى السيدة لاكونتامبور التي زارت مصر في سنة 1831 ، أن نجاح المشروع يرجع إلى عثمان نور الدين ، هو من عرضه على محمد علي باشا ، كونه كان بين أعضاء البعثة العلمية الإيطالية التي جلبت منها المطبعة ، لكن الحقيقة الأقرب للواقع هي أن محمد علي باشا هو صاحب فكرة إنشاء مطبعة بولاق ، وقد اعتمد على نصائح وتوجيهات عثمان نور الدين والأب رافاييل [3] .

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما تم إنشاء مطبعة بولاق تم إحضار الحروف العربية والإيطالية واليونانية من ميلانو ، لكن الحروف العربية كانت رديئة ، وهذا ما دفع بمحمد علي باشا لاستبدالها ، ولقد استعان بالخطاط الفارسي سنكلاخ افندي المشهور بالقاهرة ويعد كتاب ديوان محي الدين بن عربي أجمل ما خط بخطه الفارسي ، كما أن حروفه العربية

[1] جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، مصر: دار الفكر العربي، 1951، ص195.
[2] المرجع نفسه، ص 196.
[3] المرجع نفسه، ص 197.

تميزت بصنفين ، خط التعليق وهو الذي تكتب به العناوين والأبواب والفصول ، وخط النسخي ، وهو الذي تكتب به المتون "[1] .

أما فيما يخص أدوات الطباعة ، ولعل أبرزها الحبر ، فقد كان يصنع في مصر ، والورق أيضا ، حيث أنشئت ورشة لصنعه في الحسينية ، قبل أن يتم تحويلها إلى بولاق ، وقد كان محمد علي باشا متفتحا بشكل كبير على أوروبا ، حيث ما إن كان يسمع بأي تحسين صناعي يتم في أوروبا حتى يبادر بالأخذ به في مصر، فيما ظلت آلات الطباعة وورشة الورق ، أصول الحروف واللوحات الإيضاحية الملحقة بالكتب تصنع في أوروبا لغاية وقت متأخر [2] .

ويعد نيقولا مسابكي أول مدير لمطبعة بولاق ، والتي ظل يشرف عليها من الناحيتين الفنية والعلمية إلى غاية وفاته سنة1830؛ وقد ألحق به عدد من تلامذة الأزهر قصد تعليمهم طريقة الطبع ،ولما مرنوا على العمل أسندت إليهم رئاسة الأقسام "[3]، كما أنشئت مطابع أخرى ، وألحق معظمها بالمدارس ، كالمطبعة الملحقة بمدرسة الطب ، والمطبعة الملحقة بمدرسة الطوبجية ، ومطبعة المدرسة الحربية بالجيزة ، ومطبعة سراي بالإسكندرية ، وبعد التنظيم الجديد لمصر أصبح لبعض الدواوين مطابع ، كمطبعة ديوان الجهادية [4] .

[1] جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 198.

[2] المرجع نفسه ص 198.

[3] المرجع نفسه، ص 199.

[4] المرجع نفسه، ص 200،201.

المبحث الثالث " البعثات العلمية ":

لم يكتف محمد علي باشا بتأسيس وإنشاء المدارس والمعاهد العلمية بمصر فقط، بل عمل على إرسال بعثات علمية نحو أوروبا، كي يكمل الطلبة المصريون تعليمهم ودراستهم في تلك المعاهد المتطورة، وذلك بهدف تحقيق النهضة والتقدم العلمي الذي كان يرغب فيه [1].

يعد هذا العمل الذي قام به محمد علي باشا عملا بالغ الأهمية وسببا من أسباب تحقيق التقدم والازدهار ،إذ الغرض الأساسي من إرسال البعثات العلمية نحو أوروبا هو تكوين جيل من الأساتذة والعلماء المنشغلين بالعلوم الحديثة ، حتى يحلوا محل الأساتذة والأطباء والمهندسين الأجانب ، وذلك بعد إكمالهم دراستهم وعودتهم إلى موطنهم ، كما يقوم أعضاء هذه البعثات، بنقل علوم وفنون الغرب المختلفة وترجمتها إلى اللغة العربية في أقصر وقت ممكن[2].

ومن أهم البعثات العلمية التي قام محمد علي باشا بإرسالها إلى أوروبا هي:

1- البعثة الأولى سنة 1813م:

تعتبر إيطاليا هي أول بلد أرسل إليه محمد علي باشا بعثته العلمية " حيث سافر إلى ميلانو ، ليفورنو، روما ، فلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية، وفد من الطلبة لدراسة الفنون العسكرية ، بناء السفن، تعلم الهندسة، وغيرها من الفنون ، وقد تعذر معرفة أعضاء هذه البعثة إلا القليل منهم ، في صورة نيكولا مسابكي ، والذي أرسله محمد علي إلى مدينة ميلانو في سنة 1815 لتعلم فن سبك الحروف ، ودراسة فن الطباعة ، وقد أقام فيها أربعة سنوات ، ليعود إلى مصر ويتولى إدارة مطبعة بولاق[3] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي، عصر محمد علي...، مرجع سابق ص 407.

[2] جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة ...، مرجع سابق ص 34.

[3] عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية،1934، ص106.

2- البعثة الثانية سنة 1818:

بعد إيطاليا وجه محمد علي اهتمامه إلى فرنسا حيث أرسل إليها بعثة علمية وذلك سنة 1818م ، ولم يعرف من أعضاء البعثة إلا شخص واحد ألا وهو عثمان بن نور الدين أفندي، والذي أرسل إلى فرنسا في 1818م لتعلم وإتقان الفنون الحربية والبحرية، ليعود إلى مصر سنة 1825م ويترقى إلى رتبة سر عسكر ، ورئيس العمارة البحرية المصرية عام 1828م[1] .

ويعد عثمان نور الدين أفندي ، أول مبعوث مصري إلى فرنسا ، ولقد ساعد الحكومة المصرية على ترجمة العديد من الكتب ، حيث خصص له محمد علي قصر إسماعيل في بولاق، وألحق به بعض المترجمين ، بهدف ترجمة أكبر قدر من الكتب من مختلف الفنون وسائر الصنائع[2]؛ بالإضافة إلى ذلك فلقد اشتغل بتدريس بعض التلاميذ الهندسة واللغة العربية والتركية والإيطالية، كما كان بقصر إسماعيل مطبعة لطبع الكتب التركية والعربية والفرنسية بالإضافة إلى طبع الجريدة الأسبوعية التي تحرر بالعربية والإيطالية [3].

3- البعثة الثالثة سنة 1826:

تعتبر أهم بعثة أرسلها محمد علي باشا إلى فرنسا حيث أخذ أعضاؤها ينشطون في المدارس الفرنسية ، ويتلقون فيها العلوم والفنون ، وقد بلغ عدد أعضاء البعثة في البداية 40 طالبا، قبل أن يضاف إليهم أربعة طلاب عاد منهم خمسة طلاب لمصر قبل إتمامهم دراستهم، لظروفهم الصحية أو لنقص كفاءتهم ، ولقد درس الباقون مختلف فروع الإدارة والفنون والعلوم والهندسة والطب والترجمة [4]؛ وتلتها عدة بعثات إلي فرنسا منها:

---

[1] عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص 12.

[2] جمال الدين الشيال، مرجع سابق ص96.

[3] أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سابق، ص435.

[4] عبد الرحمان الرافعي، مرجع سابق، ص411.

الجدول رقم (1): أعضاء البعثة الثالثة[1]

عدد	الاسم	البلد المولود به	السن	العلم المرسل له
4 أعضاء	- مهر دار عبدي أفندي - أرتين أفندي أرمني مسيحي - سليم أفندي - محمد خسرو	- الاستانة - الاستانة - جورجيا - جورجيا	29 22 19 21	- الإدارة الملكية - الإدارة الملكية - الإدارة الملكية - الإدارة الملكية
4 أعضاء	- دويدار مصطفى أفندي - رشيد أفندي - أحمد أفندي - سليمان أفندي	- قوله بالروملي - أباظيا - قوله - شركسي	24 24 25 18	- الإدارة الحربية - الإدارة الحربية - الإدارة الحربية - الإدارة الحربية
3 أعضاء	- حسن أفندي - محمود أفندي - محمد شنان أفندي	- شركسي - شركسي - شركسي	37 21 20	- الإدارة البحرية - الإدارة البحرية
2 أعضاء	- اصطفان أفندي أرمني مسيحي - خسرو ارمني مسيحي	- سبا سطيا - الاستانة	22 18	- السياسة - السياسة
2	- مصطفى مجرمي - محمد بيومي	- القاهرة - القاهرة	17	- قوى المياه (هيدروليك) - قوة المياه

[1]: عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص10.

أعضاء			17	
عضو واحد	- الشيخ احمد العطار	- القاهرة	27	. العلوم الميكانيكية
3 أعضاء	- مظهر أفندي (أب عثماني وأم مصرية - سليمان البحري - علي أفندي	- القاهرة - القاهرة - جورجيا	18 18 18	- الهندسة الحربية - الهندسة الحربية - الهندسة الحربية
2 أعضاء	. عمر أفندي . سليمان لاز أفندي	. شركسي . طرابزون	20 25	. المدفعية . المدفعية
2 أعضاء	. أمين أفندي . أحمد حسن حنفي	. الاستانة . القاهرة	18	. نصب المدافع وصنع الأسلحة . نصب المدافع وصنع الأسلحة
2 أعضاء	. حسن الورداني . محمد أسعد	. القاهرة . القاهرة	17 15	. نصب المدافع وصنع الأسلحة . نصب المدافع وصنع الأسلحة
4 أعضاء	. عمر الكومي . أحمد يوسف . أحمد شعبان . يوسف العيادي	. القاهرة . القاهرة . القاهرة	18 20 17	. العلوم الكيميائية . العلوم الكيميائية . العلوم الكيميائية

		. القاهرة	18	. العلوم الكيميائية
2 أعضاء	. علي هيبة . الشيخ محمد الدشطوطي	. القاهرة . القاهرة	18 23	. الطب والجراحة والتشريح والعلوم والطيبيعية والحية . الطب والجراحة والتشريح والعلوم والطيبيعية والحية
2 أعضاء	. يوسف أفندي مسيحي . خليل محمود	. أرمينيا . القاهرة	23 20	. الزراعة . الزراعة
3 أعضاء	. علي حسين . أحمد النجدلي . أحمد (ابن اخي مصطفى)	. القاهرة . القاهرة . يونان	18 16 18	. التاريخ الطبيعي والمعادن . التاريخ الطبيعي والمعادن . التاريخ الطبيعي والمعادن
عضو واحد	. الشيخ رفاعة		24	. الترجمة
2 أعضاء	. أمين أفندي . أحمد أفندي	. طهطا (مصر العليا)		. بدون تخصص ووصلا فرنسا
2 أعضاء	. حسين أفندي . قاسم أفندي			. سافرا الى طولون ومرسيليا
3 أعضاء	. الشيخ محمد الرقيق . اِبراهيم وهبة			. رجعوا اِلى مصر

	. الشيخ العلوي			

4- بعثة سنة 1828 م: وقد أرسلتها حكومة محمد علي في أواخر السنة وتألفت من 24 طالب، أغلبهم متخصصون في الهندسة والرياضيات، فيما تخصص البعض الآخر في العلوم السياسية والحربية والطب ...،ومن أبرز أعضاء البعثة نجد: إبراهيم رمضان ، أحمد دقلة، أحمد فايد، أحمد طائل أفندي[1].

5- بعثة سنة 1829 : وقد غلب على هذه البعثة الطابع الصناعي ، حيث أن أغلب أعضائها أرسلوا للتخصص في مختلف الصناعات ، وذلك نتيجة رغبة محمد علي باشا في إنشاء الصناعات الكبرى ، وكذا اقتباس العلوم والفنون الخاصة بالصناعة من المعاهد الأوروبية ، وبناء على ذلك ، فقد أرسل بعثة علمية في سنة 1829م، نحو فرنسا والنمسا وانجلترا مؤلفة من 58 طالب[2]، وقد قدر عدد الطلبة الذين أرسلوا إلى فرنسا واختصوا في دراسة آلات الجراحة ، وصناعة الشمع والأقمشة ، وصناعة الأسلحة والأحذية 345 طالب ، فيما أرسل إلى النمسا أربعة طلبة لتعلم صناعة النسيج والألبسة ، وقد قدر عدد الطلبة الذين أرسلوا إلى إنجلترا بعشرين طالب ، لتعلم صناعة الميكانيك ، صناعة المدافع ، وآلات الهندسة ...، كما التحق ببعثة انجلترا طلبة آخرون كعبد الحميد بك الديار بكري، ويوسف أكاه أفندي لتعلم الفنون الحربية ، ومحمد راغب بك لتعلم صناعة وبناء السفن ،يوسف حككيان بك لتعلم الهندسة [3].

[1] عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي،المرجع السابق، ص 413، 414.

[2] أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 439.

[3] عبد الرحمان الرافعي، مرجع سابق ص 416.

الجدول رقم (2): أبرز أعضاء البعثة العلمية الصناعية لفرنسا[1]

الاسماء	الصناعات
- خليل البقلي - حبن محيسن	بصم الشيت
- عبد الرحمن - محمد عناتي	آلات الجراحة
–هنري روس حسن أبو الحسن	علم طبائع المياه
- محمد حاكم - إبراهيم الدسوقي	صناعة الساعات
- إبراهيم العتال - حسن الزراري	صناعة الصياغة و الجواهر
- حسن محمد - محمد خليل	صناعة الشمع
- محمد عزب - سليمان البهناوي	صناعة السروج
- محمد رمضان - جاد غزالي	طبع السيوف
- محمد محيت - محمد حسن	الشيلات الأنقروية
- محمد يوسف - محمد بغدادي	صناعة الاحذية
- علي الشامي - أحمد الدراس	البنادق و الطبنجات

[1]: عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي، المرجع سابق، ص ص 70–71.

- محمد نبايل - حسن الاسكندري الصغير	صناعة شمع الاختام
- حسن البغدادي - علي الجيزاوي	انشاء السفن
- عبد الرب - محمد عطية	صناعة الاجواخ
- مصطفى الزرابي - عبد المريس	نسيج الاقمشة الحريرية

6- " البعثة الطبية الكبرى" 1832:

وهي بعثة طبية تتألف من 12 طالبا من الطلبة الأوائل المتفوقين والمتخرجين من مدرسة الطب البشري ، وقد أرسلوا إلى فرنسا لإكمال دراستهم مع كلوت بك ، ولقد امتحنتهم الجمعية الطبية بباريس ، أين حققوا نجاحا باهرا، ونالوا شهادة الدكتوراه بباريس[1].

وبعد إكمال هؤلاء الطلبة المتفوقين لدراستهم بباريس عادوا إلى مصر أين اثبتوا دراستهم كمساعدين للأطباء الأجانب ، قبل أن ينتقلوا للتدريس ، كما قاموا بترجمة الكثير من كتب الطب للغة العربية ، وبفضلهم قامت نهضة الطب في مصر[2].

أما أعضاء هذه البعثة فهم:

" محمد علي البقلي، محمد الشافعي بك ، محمد السبكي بك ، محمد الشباسي، عيسو أفندي البحراوي ، محمد السكري أفندي ، محمد منصور أفندي ، إبراهيم النيراوي ، أحمد

[1] عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص 417.

[2] أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سابق ص443.

نجيب أفندي ، حسين المياوي أفندي ، الشيخ حسين غانم الرشيدي ، أحمد حسين الرشيدي "[1].

7- بعثة سنة 1844 م: وتعتبر هذه البعثة أكبر البعثات التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا وأعظمها شأنا ، وقد بلغ عدد طلبة هذه البعثة سبعين طالبا،أشرف على اختيارهم سليمان باشا الفرنساوي ، وهم من نوابغ المدارس المصرية العالية بمصر ، كما ضمت هذه البعثة بعض معلمي المدارس ، وكذا نجلا محمد علي باشا ، أولاهما الأمير حسين بك والأخير حليم بك باشا ، وحفيداه الأمير أحمد والأمير إسماعيل الخيديوي[2].

وقد عين اصطفان بك مديرا للبعثة ومربيا للأمراء ، وخليل أفندي مساعده والشيخ نصر أبو الوفا إماما للبعثة ، وقد تخصص أعضاؤها في تعلم الفنون الحربية في مدرسة خاصة ، حيث عرفت تلك المدرسة بالمدرسة الحربية المصرية بباريس، كما كان لهذه المدرسة تلاميذ يتعلمون الطب البيطري والطب البشري والصيدلة [3].

8- بعثة سنة 1845 م : وهي بعثة طبية أيضا أرسلت إلى النمسا ، تتألف من 8 أعضاء لدراسة طب العيون ، من بينهم نجد حسين عوف باشا ، ابراهيم السوقي أفندي"[4].

9- بعثة سنة 1847 م : وهي بعثة طبية نحو فرنسا مؤلفة من طبيبين هما محمد يونس أفندي ، وعبد الرحمان الهراوي أفندي ، وصيدليين هما حسين هاشم أفندي ومحمد الشرقاوي أفندي [5] ، وفي نفس السنة أرسلت بعثة أخرى مكونة من 5 طلبة من الأزهر نحو فرنسا قصد تعلم المحاماة ، وقد قامت مدرسة الألسن باختيار هؤلاء الطلبة الخمسة لكن الحكومة المصرية تراجعت عن إرسال هذه البعثة إلى فرنسا ، كما تم في نفس السنة أيضا إرسال

[1] عبد الرحمان الرافعي، المرجع سابق، ص 417.

[2] عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 417.

[3] عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي، مرجع سابق، ص 175، 174.

[4] المرجع نفسه، ص 421.

[5] المرجع نفسه، ص 422.

بعثة نحو إنجلترا مكونة من 20 نجارا لتعلم وإتقان بناء السفن الحربية ، كما تم في أواخر السنة أيضا إرسال بعثة أخرى مكونة من 25 طالب ، لتعلم فن الميكانيكا [1].

لقد بلغ عدد طلبة البعثات التسعة التي أرسلها محمد علي باشا إلى أوروبا منذ 1813م إلى 1847م، 319 طالبا منهم 28 طالب في البعثات الأولى من 1813 م إلى 1847 م، و291 طالبا في البعثات الأخرى من عام 1826م إلى 1847 م حيث أكملوا دراستهم في العديد من التخصصات وعادوا إلى أرض الوطن.

أما فيما يخص التكاليف المالية لتلك البعثات فقد قدرت بحوالي 30000 جنيه إلى 33360 جنيه وهو ما انفق على البعثة الأولى ، و 273360 جنيه على البعثات الأخرى من 1827م الى 1847 م بما فيها نفقة الأمراء[2]، وبعد عودة أعضاء البعثات العلمية الى مصر تم توظيفهم حسب تخصصهم وكفاءتهم كما أوكلت إليهم ترجمة العديد من الكتب كلا حسب تخصصه ، وتم الاستغناء على الخبرات الأجنبية وحلت محلها الكفاءات الوطنية ، وهو ما كان له دور كبير في تغيير أحوال مصر .

[1] أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سابق ص451.

[2] سامي صالح الصياد، "محمد علي باشا والنهضة العلمية في مصر 1805-1848"، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، المجلد 11، العدد 42، 2019، ص ص 365،366.

الفصل الثالث:

النهضة العلمية بين الحقيقة و الاصطناع

المبحث الأول: دور التعليم في صناعة قوة ونهضة مصر

المبحث الثاني: الأبعاد الحقيقية للتعليم في مصر أو أسباب الفشل

المبحث الثالث: اجهاض النهضة التعليمية بانهيار القوة العسكرية

المبحث الأول: دور التعليم في صناعة قوة ونهضة مصر

كان للتعليم دورٌ كبيرٌ في تحقيق النهضة العلمية في مصر، في مختلف المجالات سواء الثقافية أو العسكرية أو الاقتصادية، ففي المجال العسكري يبرز من خلال تأسيس مدارس ذات طابع عسكري، تهدف لإعداد الضباط العسكريين، وذلك نتيجة الحاجة الماسة لهم في الحروب التوسعية، ومن أبرز تلك المدارس نجد مدرسة أسوان، والتي تعتبر النواة الأولى لتكوين الضباط عسكريا، وكان ذلك على يد مدربين أجانب، وقد جمعت نحو ألف من أبناء المماليك، كبار القادة والموظفين، أشرف على تدريسهم الكولونيل سيق، بمساعدة بعض الضباط الإيطاليين. [1]

وقد دعمت مدرسة أسوان بمدرسة أخرى ألا وهي مدرسة اسنا، تهتم بتعليم الضباط الفنون الحربية، حيث نجح سليمان باشا في تكوين العديد من الضباط الجدد، والذين بدورهم أصبحوا يديرون جنود الجيش من مصر والسودان كما أوجدت مدرسة أخرى، ألا وهي مدرسة الحربية، والتي تتولى تعليم وتدريس الضباط مختلف العلوم طيلة مدة التكوين العسكري. ومن العلوم التي كانوا يتلقونها، نجد الحساب، الهندسة، الطبوغرافيا، اللوائح الحربية ....، ويتم تعيين الضباط المتخرجين من هذه المدرسة في الوحدات الهندسية، المدفعية، المناجم، أو في الإدارة الحربية والمدنية، بالإضافة إلى ذلك فإنه هناك مدارس حربية أخرى، كمدرسة المشاة بأسوان، والتي تتولى تكوين ضباط لفرق الجيش البري والبحري.[2]

وإلى جانب ذلك هناك المدارس العسكرية البحرية، والتي كان لها هي الأخرى، دورا كبيرا في قوة مصر في تلك الفترة، وذلك من خلال إنشاء أسطول بحري كبير، مكن محمد علي باشا وجيشه، من القيام بالعديد من الحملات العسكرية في البحر، ويرجع ذلك لاهتمامه ببناء

[1]– أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 387.

[2]– المرجع نفسه، ص 382 – 391.

مدارس خاصة بالبحرية، لعل وأبرزها مدرسة البحرية الواقعة بالإسكندرية، والتي يتعلم بها المصريون بناء السفن، والعلوم المتصلة بها. [1]

كما أوجدت مدراس أخرى، كمدرسة المنصورة والتي ظهرت على ظهر سفن الأسطول البحري، والتي كان يتعلم فيها التلاميذ قيادة السفن ويتلقون فيها دروسًا حول البحرية، ويتعلمون فيها فن صناعة السفن، وبعد الانتهاء من الدراسة يعملون كمهندسين في المصانع الحكومية. كما عمل محمد علي على تأسيس العديد من المصانع الحربية، كمصنع القلعة لصناعة الأسلحة وسبك المدافع، معامل سبك الحديد والبنادق والبارود، وذلك قصد تدعيم الجيش بما يحتاجه. [2]

بالإضافة إلى ذلك، فإنه هناك بعثات علمية نحو أوروبا، أرسلها محمد علي باشا، قصد دراسة الفنون الحربية والبحرية، وكذا ترجمة لوائح وقوانين البحرية الفرنسية والإنجليزية، ومن أبرز تلك البعثات، نجد البعثة العلمية العسكرية نحو إيطاليا، في الفترة ما بين (1809 – 1813)، بهدف دراسة العلوم العسكرية وتعلم بناء السفن، ضف لها البعثة الأولى نحو فرنسا في 1818 م، الثانية في 1826 م، وكذا بعثة إنجلترا في 1829، وكان كل ذلك، بهدف دراسة مختلف العلوم العسكرية، وعلى رأسها الفنون الحربية والبحرية، كما قام أعضاء تلك البعثات بترجمة العديد من الكتب الخاصة بالفنون الحربية، واللوائح البحرية، واستعمالها في خدمة الجيش والبحرية المصرية ومن أبرز أولئك المترجمين، نجد عثمان بن نور الدين أفندي.[3]

وقد نتج من اهتمام الحكومة المصرية بالتعليم العسكري، إنشاء العديد من المدارس الحربية، وتعليم جنودها مختلف العلوم والفنون الحربية، وكان ذلك بهدف تكوين ضباط أكفاء

[1]– أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص، 418 – 419.

[2]– صلاح أحمد هريدي، الحرف والصناعات في عهد محمد علي، ص ص، 146، 153.

[3]– أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 441.

سواءً على مستوى المؤسسة العسكرية البرية أو البحرية، وهذا ما نتج عنه فرض مصر لنفوذها في المنطقة المشرقية، من خلال الحروب التي خاضتها سواءً إلى جانب الدولة العثمانية أو ضدها. [1]

أما بالنسبة للمجال الاقتصادي فقد كان للتعليم أيضا دور كبير فيما وصلت إليه مصر في هذا المجال، سواءً من الناحية الزراعية أو الصناعية، أو حتى التجارية، فالزراعية تبرز من خلال النهضة التي تحققت بفضل المدارس التي شيدها محمد علي باشا، كمدرسة ....، والتي شيدت في 1833 م، وكذا مدرسة نبورة والتي أنشئت في عام 1836 م، وكانت هيئات التدريس فيها مكونة من الأعضاء الذين عادوا متفوقين من البعثات العلمية نحو أوروبا، وأبرزهم يوسف أفندي، والذي تولى إدارة تلك المدرسة، كما أن الحكومة قامت بإرسال بعثات علمية زراعية نحو أوروبا، لدراسة العلوم الخاصة بالزراعة، مثل بعثة 1826 م. [2]

وإلى جانب ذلك، فقد اهتمت الحكومة المصرية بتطوير القطاع الصناعي، وذلك باعتباره ركيزة أساسية لبناء دولة مصر الحديثة، وكان ذلك من خلال إرسال بعثات علمية صناعية نحو أوروبا، أبرزها التي أرسلت إلى النمسا، فرنسا وإنجلترا في عام 1829 م، وذلك قصد دراسة مختلف آلات الجراحة والصناعة، وكذا صناعة النسيج، الأقمشة، الأسلحة، الصوف، المدافع والميكانيك ...، وبعد عودة أفراد هذه البعثات إلى مصر، يتم توظيفهم مباشرة في المصانع التي أسسها محمد علي باشا بمصر كمصنع الغزل والنسيج، الحرير، الزجاج، السكر ... [3]

وقد انعكس انتعاش القطاعين الزراعي والصناعي على القطاع التجاري والذي أصبح يعرف حركة واسعة، سواءً في الداخل أو في الخارج، مع الدول الأوروبية.

---

[1]– أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 441.

[2]– سامي صالح الصياد، المرجع السابق، ص 365.

[3]– أحمد صالح هريدي، المرجع السابق، ص 200.

ويعود ذلك للأسطول البحري الذي تم إنشاؤه والذي ساهم في توسيع نطاق المواصلات البحرية بين مصر والبلدان الأخرى، وكذا مد طريق لسير القوافل التجارية بين القاهرة والسويس، وقد تمثلت أبرز المنتوجات المصدرة في القطن، الأرز، الحبوب، الحبر الجاف... ، أما الواردات، فقد تمثلت في الأنسجة القطنية،الحرير ... [1]

أما بخصوص المجال الثقافي، فقد عزم محمد علي باشا على بناء دولة حديثة، وذلك من خلال إحداث نهضة علمية شاملة لمختلف المجالات، خاصة المجال العلمي والثقافي، وذلك بوضع نظام تعليمي جديد، يتضمن إعداد جيل جديد، يساهم بدوره في بناء مصر الحديثة، هذا النظام قائم على الانفتاح على العالم الخارجي، خاصة الدول الأوروبية للاستفادة من التطور الحاصل هناك، ومحاولة تطبيق ذلك في مصر.[2]

ولتحقيق هذا الغرض فقد سارع محمد علي باشا في إنشاء العديد من المدارس التعليمية، بمختلف تخصصاتها وأطوارها التعليمية من أولى، إعداد، ثانوي، خاص ومتخصص، وذلك قصد تعليم أبناء مصر مختلف العلوم، ومن أبرز تلك المدارس، نجد مدرسة المهندس خانة الواقعة بالقلعة مدرسة الصيدلة، الطب، الطب البيطري، الألسن، الترجمة، وكذا المدارس الصناعية والحربية والبحرية، وإلى جانب كل ذلك، إرسال بعثات علمية نحو أوروبا لدراسة مختلف العلوم والفنون، بمختلف تخصصاتها، سواء الزراعية أو الصناعية أو العسكرية، وكان ذلك بهدف بناء دولة حديثة قائمة بنفسها، تتمتع بطبقة مثقفة تقود وتترأس المدارس والمصانع التي تم إنشاؤها، وبالتالي يصبح لمصر القدرة على منافسة الدول الأجنبية، وكذا تحقيق التقدم العلمي، وبناء جيش عصري على الأساليب الحديثة.[3]

[1]– عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص ص 512 – 513.

[2]– سامي صالح الصياد، المرجع السابق، ص 362، 363.

[3]– سامي صالح صياد، المرجع السابق، ص 367.

الترجمة هي الأخرى كان لها دور كبير، فيما وصلت إليه مصر في نهضتها العلمية وذلك من خلال ترجمة مختلف الكتب من اللغات الأوروبية، إلى اللغة العربية بهدف تحقيق مجموعة من الأغراض، كنقل العلوم، النظم والقوانين الموجودة عند الغرب، ومحاولة تطبيقها على مختلف مجالات الحياة بمصر، ولتحقيق هذا الغرض أخذت كل مدرسة خصوصية، خاصة مدارس الطب، المهندس خانة، والألسن على عاتقها ترجمة مختلف الكتب والعلوم التي تدرس بها، إلى اللغة العربية، وقد ساهم في هذه العملية مجموعة من المترجمين كالمترجم السوري أنطوان رفائيل وكذا خريجي المدارس والبعثات وموظفي الحكومة، وقد أشرف على ترجمة تلك الكتب مجموعة من المصححين بقلم الترجمة. [1]

وإلى جانب ذلك، فقد اهتم محمد علي باشا بالطباعة، وذلك باعتبارها وسيلة لنشر ونقل العلوم، الفنون، الثقافة الغربية، وكذا طبع الكتب المترجمة والمخطوطات القديمة التي تخدم النهضة، ضف إلى ذلك طبع ونشر العديد من الكتب بمختلف التخصصات العلمية والإنسانية سواءً في الطب أو الهندسة، أو العلوم الإنسانية، أو الفنون الحربية، وعليه فقد أنشئت مطبعة بولاق، وتلتها إنشاء مطبعات صغيرة، تابعة للمنشآت التعليمية البعيدة عن مطبعة بولاق، وذلك لتسهيل طبع الكتب المترجمة بها، وقد نتج عن ذلك تكوين ثروة علمية كبيرة ومحفوظة، ساهمت في قيام نهضة علمية كبيرة، أدت إلى "التطور والتقدم" في مختلف المجالات. [2]

[1]– جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 70.

[2]– سامي صالح صياد، المرجع السابق، ص 369.

المبحث الثاني: الأبعاد الحقيقية للتعليم في مصر أو أسباب الفشل:

مما لاشك فيه أن محمد علي باشا، أقدم على القيام بنهضة علمية حديثة بمصر، وذلك من خلال إنشاء المدارس، إصلاح المناهج التعليمية، وكذا تشجيع البعثات العلمية نحو أوروبا وبالخصوص فرنسا، وقد كان الهدف من كل هذا –على الأقل في الظاهر– هو تحديث مصر، وجعلها مثل الدول الأوروبية، إلا إن هذه النهضة شهدت ضعفا وانهيارًا كاملا، في بداية منتصف القرن 19 م، حيث لم يتمكن محمد علي من تحقيق النهضة العلمية الحقيقية، لأن نهضته اعتبرت من طرف الكثير من المؤرخين نهضة مصطنعة، كونها ليست موجهة لخدمة الفرد المصري، بل كانت لخدمة أهدافه العسكرية بالتحديد، وهذا ما سنحاول إثباته.

إن أبرز سبب لفشل النهضة العلمية في مصر يعود لاهتمام محمد علي بالتعليم العسكري البحت، وهذا ما جعل معظم المدارس التعليمية ذات بعد أو صبغة عسكرية، وقد كان الهدف من ذلك إعداد ضباط عسكريين، لتدريب جنود الجيش، المشارك في مختلف حروب الدولة الخارجية، وبذلك ركز جهوده على هذا النوع من التعليم، كما أن الهدف من إنشاء مدارس الطب والهندسة كان إعداد أطباء ومهندسين لخدمة الجيش المصري، لا لتحسين ظروف وأحوال المصريين. [1]

بالإضافة إلى ذلك، فإن هدف محمد علي باشا من إنشاء المدارس التعليمية، وتشجيع البعثات العلمية نحو أوروبا، لم يكن لتثقيف المصرين، وتحسين أحوالهم بل كان بهدف إعداد موظفي الإدارة والمصالح الحكومية المختلفة، كإدارة الدواوين مثلا، وهذا ما يجعل العديد من المصريين من عامة الشعب يلتحقون بمدارس محمد علي قصد الحصول على الوظيفة لا غير بعد التخرج، نظرا لما تتوفر عليه من الراتب الكبير، وقد كان هذا التوافد الكبير على

[1]– أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 389، 390.

الوظائف الحكومية، نتيجة ما شاهدوه من الأحوال الجيدة التي أصبح عليها أصحاب الوظائف الحكومية. [1]

وانطلاقا من هذه النقطة، يتضح لنا أن توافد المصريين على المدارس التعليمية، لم يكن بهدف تثقيف أنفسهم، وتحسين مستواهم العلمي، وإنما كان بهدف تحسين ظروفهم الاجتماعية، خاصة بعدما شاهدوا أحوال أصحاب الوظائف كيف تغيرت من السيئ إلى الأحسن نتيجة الأجر الكبير الذي كانوا ينالونه من الدولة، وقد أدى هذا التوافد الكبير لعامة المصريين على التعلم في مدارس محمد علي، إلى إقدام الأخير على إغلاق عدد كبير من تلك المدارس، وطرد طلبتها ومنعهم من التعلم، فحسب بعض المصادر قدر عدد المدارس المغلقة بنصف المدارس المتواجدة في كامل القطر المصري، ذلك لتخوفه من انتشار التعليم في جميع الأقطار المصرية، وما ينتج عليه من تثقيف للمصريين، ونضجهم السياسي والقومي، ومنه مطالبته بالتنحي عن السلطة، التي انفرد بها هو وعائلته، لذلك سارع لإغلاق نصف تلك المدارس، وطرد الطلبة المتعلمين بها، قصد مواصلة السيطرة على الحكم، وقد أدت هذه الخطوة التي أقدم عليها محمد علي، إلى تراجع وضعف التعليم بشكل كبير، أدى فيما بعد إلى فشل وانهيار النهضة العلمية بالبلاد. [2]

وقد أدى أيضا استنزاف خيرات البلاد، ومواردها المالية، الاقتصادية، والبشرية إلى تراجع التعليم بشكل كبير، نتيجة مشاركة محمد علي باشا وجيشه، في حروب خارجية، سواء الدولة العثمانية، أو إلى جانبها، في حروبها ضد القوى الأوروبية، فكما هو معروف تحتاج الحرب لموارد مالية كبيرة، نتيجة كثرة النفقات، كما تحتاج لجنود مدربين ومهيئين للحرب، لذلك اضطر محمد علي باشا إلى اخذ الطلبة من المدارس وتجنيدهم في الجيش للحرب، وقد أدى هذا الاستنزاف الكبير للموارد المالية وغيرها، إلى عجز الحكومية وتأخرها عن دفع مرتبات

[1]–سلوى العطار، التغييرات الاجتماعية في عهد محمد علي، ط 1، دار النهضة العربية للطبع والنشر، القاهرة، 1989، ص 315.

[2]– المرجع نفسه، ص 324.

المعلمين، وموظفي التعليم، لأشهر كثيرة، وهذا ما نتج عنه تقاعسهم عن أداء مهامهم، وبالتالي أدى هذا أيضا الى ضعف التعليم وتراجعه. [1]

وإلى جانب ذلك، فقد وجدت أسباب أخرى أدت إلى فشل النهضة العلمية بمصر، ولعل أبرزها هو احتكار الحكومة للتعليم، حيث أنها هي من كانت تنظمه وتتحكم فيه كيفما تشاء، وبحسب أهدافها وأغراضها التي تسعى لتحقيقها، وفي كثير من الأحيان تنشأ المدارس والمعاهد لتحقيق غاياتها المرجوة، ولكن ما إن تحقق هدفها، حتى تقوم بغلقها، كما أنها هي من كانت تتحكم وتتصرف في رغبات وأهواء التلاميذ المتمدرسين بمدارسها ومعاهدها فهي من تحدد لهم المهنة التي يمتهنونها، دون أن تترك لهم حرية الاختيار، وكما هو معلوم فان المهنة المختارة من قبل التلميذ وفق رغباته وأهوائه، تؤدي به إلى الإبداع دون أدنى شك، لكن العكس، يؤدي به الى كره التعليم والمهنة التي اختارتها له الحكومة كونها لا تلبي له لا رغباته ولا طموحاته، لكن حكومة علي اختارت هذا الطريق التعليمي الخاطئ، والذي أدى في النهاية إلى فشل النهضة وانهيارها. [2]

بالإضافة إلى ذلك، فإن حكومة محمد علي باشا، أهملت بشكل كبير بناء المدارس في القرى والأرياف، إذ اقتصرت هذه الأخيرة على المدن فقط، في حين أن التعليم بالأرياف اقتصر على الكتاتيب، والتابعة للأزهر، ورغم عملها على نشر الثقافة والتعليم هناك، إلا أنها كانت خالية من العلوم الدنيوية المفيدة، مثل: الزراعة والصناعة، الطب، والهندسة ...، لذلك فإن أطفال تلك المناطق كانوا مجبرين على الانتقال إلى المدن في حالة رغبتهم في التعليم، وهذا ما رفضوه قطعا، مما اضطر محمد علي فيما بعد إلى أخذهم بالقوة، مكبلين بالسلاسل. [3]

[1]– سلوى العطار، المرجع السابق، ص 326.

[2]– أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 561.

[3]– سلوى العطار، المرجع السابق، ص 299.298.

كما أنه ترك التعليم بجامع الأزهر والكتاتيب التابعة له على حاله، دون إحداث أي تغيير على برامجه التعليمية، والتي ظل يغلب عليها الطابع الديني على حساب الدنيوي لذلك فقد شكل علماؤه معارضة كبيرة للسياسة التعليمية القائمة في عهد محمد علي، حيث امتنع عدد كبير من قراءة الكتب المترجمة حديثا في دور الترجمة، ما عدا فئة قليلة منهم، وهذا لرفضهم لأي تجديد أو تطوير علمي، كانت تتضمنه تلك الكتب المترجمة حديثًا. [1]

بالإضافة إلى ذلك فإن التعليم القائم في هذا العهد كان تعليما عنصريا، إذ أن محمد علي باشا لم يسمح لعامة المصريين بدخول المدارس الحربية، والتي كانت مخصصة لأبناء المماليك والشراكسة والأتراك، في حين أقصى السكان الأصليين وهم المصريين، من كافة المناصب القيادية، سواء في الحكومة أو في الجيش العسكري، وهذه المناصب كانت من نصيب المماليك والأتراك، بينما اقتصر دور المصريين في الوظائف الثانوية، كالطب والهندسة وغيرها، ومن هنا يتضح لنا أن محمد علي كان يتخوف من تقلد المصريين أي منصب قيادي سواء في الحكومة أو في الجيش، وهذا التخوف راجع كما أشرنا سابقا لتخوفه من بروز الوعي السياسي والقومي لدى المصريين، والذي يؤدي إلى الانقلاب عليه، وتنحيته من السلطة. [2]

ومن بين الأسباب التي أدت إلى فشل النهضة والتعليم في عهد محمد علي باشا أيضا، هو اعتماده على نظام تعليمي غربي، قائم على الأسس العلمانية، وهذا ما يتعارض مع طبيعة المجتمع المصري المحافظ، لذلك كان عليه قبل الشروع في سياسته التعليمية تهيئة الظروف المناسبة لنجاح هذا الفكر الجديد لدى المجتمع المصري. والأفضل من ذلك كان عليه أن يطبق سياسة تعليمية تنسجم مع طبيعة وهوية الشعب المصري [3]

[1]– سلوى العطار، المرجع السابق، ص ص 302، 303.

[2]–المرجع نفسه، ص 324.

[3]–أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 595.

كما أن هذا التعليم لم ينشأ بنشأة طبيعية، والتي يبدأ فيها المتعلم بالمرحلة الابتدائية ثم المرحلة الثانوية، إلى أن ينتقل إلى المرحلة العلية والأخيرة، بل كانت عكس ذلك، حيث ينطلق من المرحلة الأخيرة، ألا وهي العالية، نظرا لحاجة محمد علي للمتخصصين والموظفين في مختلف الميادين، لذلك بدأ بإنشاء المدارس الخصوصية بشكل كبير، وتوسع في التعليم القائم بها، عكس المراحل الأخرى، وهذا دليل آخر يثبت لنا أن حكومة محمد علي لم تهتم بتعليم وتثقيف الفرد المصري، بل كان هدفها إعداد مجموعة من الأفراد لأداء مهامهم في المصالح الحكومية المعينة، لذلك أدت هذه السياسة التي انتهجها الى الفشل وانهيار التعليم في منتصف القرن 19 م. [1]

[1]– سلوى العطار، المرجع السابق، ص 315.

المبحث الثالث: إجهاض النهضة العلمية بانهيار القوة العسكرية:

مما لا شك فيه، أن محمد علي باشا ومن خلال النهضة العلمية التي أرساها بمصر، تمكن من بناء قوة عسكرية واقتصادية، مشابهة لتلك الموجودة بالقارة الأوروبية وكان ذلك نتيجة اهتمامه بالتعليم بالدرجة الأولى، حيث أقام المدارس والمعاهد في مختلف القطر المصري، كمدرسة الطب، مدرسة المهندس خانة، الزراعة، الترجمة، المدرسة الحربية ...، وكذا شجع البعثات العلمية نحو أوروبا، وهذا ما انعكس إيجابا على الاقتصاد، الثقافة، والجيش المصري، هذا الأخير أخذ في التوسع بالمناطق المجاورة لمصر كالسودان، الحجاز، وكذا الشام، والتي كاد أن يصل من خلالها إلى عاصمة الدولة العثمانية "الأستانة" لولا تكالب القوى الأوروبية ضده، خاصة بريطانيا وروسيا، والتي قررت التحالف مع الدولة العثمانية ، للقضاء على القوة الجديدة التي ظهرت بالمنطقة، المشرقية بقيادة محمد علي باشا، وبذلك تمكنت من هزيمتها وحجب قوتها وسط خذلان فرنسا لها، لكن ما يلاحظ على هذا الأمر أن هذه الهزيمة لم يكن لها تأثير على الحياة السياسة العسكرية والاقتصادية فقط وانما أيضا على الحياة الثقافية والنهضة العلمية القائمة في البلاد، هذه الأخيرة أخذت شمعتها في الإنطفاء والأفول تدريجيا حتى انهارت كلية.

وحسب عدد كبير من المؤرخين، فإن فشل النهضة العلمية وانهيارها بمصر يعود للهزيمة العسكرية لمحمد علي باشا في حرب الشام الثانية، وما نتج عنها من توقيع لمعاهدة لندن في 1840 والتي تضمنت مجموعة من البنود القاسية، التي طبقت في حقه، رغم انتصاره على الدولة العلية، وتمثلت أبرز تلك البنود في التخلي عن المناطق التي تمكن من السيطرة عليها في بلاد الشام مع الحفاظ على حكم مصر هو وأسرته وراثيا، كما حددت هذه المعاهدة عدد المجندين في الجيش، والذي قدر بـ 18 ألف جندي، يؤدون خدمتهم العسكرية لمدة 5 سنوات فقط، كما منعته هذه المعاهدة أيضا من بناء السفن الحربية دون استشارة الدولة العلية، كما أنه منع منح الأوسمة أو الرتب العسكرية لعساكره دون علم الدولة العثمانية، وقد اشترط عليه

الالتزام ببنود هذه المعاهدة حرفيا، وأي إخلال بأحد بنودها، يعزل هو وأسرته من حكم مصر، على أن تصبح الأخيرة اقليم من الأقاليم العثمانية. [1]

وبذلك اعتبرت هذه البنود المجحفة المفروضة بالقوة على محمد علي باشا بمثابة الضربة القاضية التي أصابت النهضة العلمية بمصر، والتي كما ذكرنا سابقا أنها كانت تتميز بطابعها العسكري، الأمر الذي جعلها عرضة للانهيار نتيجة البنود القاسية المفروضة على مصر من خلال معاهدة لندن، والتي من خلالها منع التجنيد بالجيش بالعدد الكبير، حيث أنها حددت ذلك بـ 18 ألف جندي فقط، وهذا الأمر الذي دفع بالحكومة المصرية إلى تسريح عدد كبير من الضباط، وكذا الطلبة الذين كانوا يزاولون دراستهم بالمدارس الحربية، قصد التخرج والالتحاق بالصفوف العسكرية. [2]

كما أقرت تلك المعاهدة بندا آخرا، يكرس التدخل الخارجي في تنظيم الجيش المصري، وذلك من خلال تحديد مدة الخدمة العسكرية، بخمس سنوات لا أكثر، مع إلزامية تسريح من أكمل تلك المدة، دون تمديد فترة خدمته العسكرية، وكذلك أصبح الجيش المصري يسير من طرف القوى الخارجية، وبالخصوص الدول الأوروبية، تحت غطاء الدولة العثمانية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن البند الذي أقرته المعاهدة حول منع بناء السفن الحربية بمصر، دون العودة لاستشارة الباب العالي، كان له انعكاس كبير على مصنع السفن الذي شيده محمد علي باشا، والذي تم إغلاقه فيما بعد، كما أن هذه المعاهدة لم يكن لها التأثير الكبير على نفسية محمد علي باشا فقط، والذي أشعرته باليأس وفقدان الأمل في تحقيق مشروعه بل تعدته إلى اليد العاملة، وعامة الشعب المصري الذي أصابه الانحلال والتكاسل.

وكما أشرنا سابقا، فقد أدت معاهدة لندن إلى تلاشي النهضة العلمية بمصر واندثارها، حيث اتجه محمد علي باشا وحكومته إلى اتخاذ مجموعة من القرارات التي أدت إلى انهيار

[1] – عمر الاسكندري، المرجع السابق، ص ص194، 195.

[2] – سلوى العطار، المرجع السابق، 130.

التعليم بمصر، حث تم إغلاق نسبة 50 % من المدارس التي تم إنشاؤها في بداية النهضة، وبذلك بقي عدد قليل من المدارس الابتدائية بمصر، كما تم إلغاء المكاتب الابتدائية بالأقاليم، والتي قدرت بـ 38 مكتب، كما أغلقت مدرسة المبتديات بالسيدة زينب، وهي الوحيدة بالقاهرة، والأمر نفسه طبق على المدرسة التجهيزية ومدرسة الموسيقى، ضف إلى ذلك فقد حولت مدرسة الألسن لشبه مكتب ترجمة. [1]

بالإضافة إلى هذا، فقد اتجهت حكومة محمد علي باشا، إلى تقليص عدد التلاميذ سواءً في المدارس الخصوصية أو التجهيزية، وذلك قصد حصره في نطاق ضيق يتيح للحكومة عددا قليلا من الموظفين حسب الحاجة، وبالتالي تقليص الأجور المترتبة على ذلك، وكذا تقليص نفقات التلاميذ من أجر، إيواء، وملبس.[2]

وقد اعتبرت تلك القرارات بقرارات اللجنة الأولى لإصلاح أحوال التعليم بمصر، لكن قراراتها المجحفة دفعت بالعديد من العلماء لمعارضة هذه السياسة وانتقادها، وهذا ما جعل محمد علي باشا، ينهي مهامها ويعين لجنة إصلاح ثانية، فعاد الأمل للمصريين مرة أخرى، عسى أن تصلح هذه اللجنة ما أفسدته اللجنة السابقة، لكنها ارتكبت جريمة في حق التعليم بمصر، وذلك من خلال إصدارها لقرار، ينص على إلغاء جميع المعاهد التي تم إنشاؤها بالقطر المصري، كما أنها حولت الغرض من التعليم الابتدائي لمجرد غرض لإعداد التلاميذ للمدارس التجهيزية والخصوصية، لا إلى نشر التعليم وسط الأهالي، في مختلف الأقطار المصرية. [3]

لكن ما لبث أن مات محمد علي باشا في 1848، وخلفه أحفاده من بعده، حتى انهارت النهضة التعليمية بمصر بشكل كلي، حيث أقدم أول من خلفه ألا وهو عباس باشا الأول

[1]– سلوى العطار، المرجع السابق، ص ص 126، 127.

[2]– المرجع نفسه، ص 124.

[3]– المرجع نفسه، ص 128.

على إغلاق غالبية المدارس المتبقية من النهضة، والتي لم يقم محمد علي باشا بإغلاقها، وبذلك بقيت منها حوالي 14 مدرسة فقط، كمدرسة الطوبجية والحربة بالإسكندرية، مدرسة المهندس خانة ببولاق، مدرسة الطب، مدرسة الطب البيطري ...، كما أنه قام بطرد تلاميذ تلك المدارس، وحرمانهم من مزاولة دراستهم، في حين أرغم المتفوقين منهم على دخول المدارس الحربية. [1]

وبعد وفاة أول خلفاء محمد علي باشا، ألا وهو عباس باشا الأول، خلفه من بعده سعيد باشا، هذا الأخير اهتم بشكل كبير بأمور الحربية والبحرية المصرية، في حين أنه أهمل الجانب العلمي و التعليمي بمختلف مجالاته، حيث أنه ألغى ديوان المدارس، كما أنه أقدم على إغلاق بعض المدارس المتبقية، رغم قلتها كمدرسة المغروزة والمهند سخانة ببولاق، لكنه بعد ذلك قام بفتحها من جديد بالإسكندرية.[2]

وقد أدى انهيار التعليم بشكل كبير في مصر، إلى تعرض هذه الأخيرة للاختراق الأوروبي، حيث بدأ الأوروبيون بالتوافد بكثرة إلى مصر، والاستقرار بها، وممارستهم للتجارة، وكذا فتح مدارس خاصة بجالياتهم، هذه الأخيرة نشطت للإرسالية التبشيرية، وكان كل هذا نتيجة للتدهور التعليمي الذي حل بمصر، وما قابله من عدم استعداد لذلك، بعدما باتت مصر لا تملك من أسباب المناعة ما يحول دون تعرضها للتدخل في شؤونها الداخلية وتسرب النفوذ الأجنبي فيها بالشكل الذي حضّرها أو هيأها للوقوع تحت الحماية الأوروبية (البريطانية).

[1]– اسماعيل سرهنك، من حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء (2)، الطبعة (1) المطبعة الأميرية بولاق، 1894، ص 262.

[2]– المرجع نفسه، ص 70 هـ.

الخاتمة

ان دراستنا لهذا الموضوع وتتبع تفاصيله وحيثياته مكنتنا من الوقوف على الكثير من النتائج والاستنتاجات بخصوص الحركة التعليمة أو الحياة الثقافية في مصر خلال حكم محمد علي باشا، لاسيما وأن هذه الفترة من تاريخ مصر قد عرفت فيها هذه الأخيرة الكثير من التحولات والتطورات التي غيرت من وجه الحياة في مصر، لعل من أبرزها:

لقد تمكن محمد علي باشا، من بناء وتشييد مصر الحديثة، من خلال الإصلاحات الجذرية التي قام بها سواء من الناحية الاقتصادية والمالية أو العسكرية، أو الثقافية والعلمية، وفيما يخص هذه الأخيرة فقد تحققت من خلال إنشاء العديد من المدارس في مختلف المجالات سواءً المدارس التعليمية، أو الصناعية أو حتى الحربية، وكان كل هذا من أجل جعل مصر قوة عسكرية بالمنطقة.

ركزت جميع الإصلاحات التي قام بها محمد علي على الجانب العسكري، وأهملت بقية الجوانب لا سيما ما تعلق بمسألة بناء الفرد أو المواطن المصري، فمحمد علي باشا لم يقم بهذه النهضة من أجل تحسين فكر وعقل الفرد المصري أو ترقية مستوى حياته، بقدر ما اهتم بتقوية القدرات العسكرية لجيش مصر، وهذا ما جعل هذه النهضة معرضة للانهيار، بمجرد الهزيمة العسكرية التي تعرض لها سنة 1840م، بعد تحالف القوى الأوروبية ضده، خوفا من تغلبه على الدولة العثمانية واعتلائه الحكم بالباب العالي.

يبدو بأنّ النهضة العلمية التي قام بها محمد علي باشا في مصر هي نهضة مصطنعة، كانت ترمي لخدمة أهدافه العسكرية، الحربية، قصد التوسع في المناطق المجاورة له كالسودان و الشام، قبل أن يحاول السيطرة على الحكم بالباب العالي في اطار سعيه لبناء امبراطورية كبيرة، لولا وقوف القوى الأوروبية ضده، ولم تكن هذه النهضة تخدم مصالح الفرد المصري الذي كان يعيش الجهل والأمية بأشكالها المختلفة، لذلك انهارت هذه النهضة بمجرد هزيمة جيش محمد علي باشا في حرب الشام الثانية، هذه الهزيمة التي كانت كالعاصفة التي

كشفت هشاشة أو عورة "القصر" الذي بناه محمد علي في مصر بعدما لم يستطع الصمود في وجه أول موجة رياح لتلك العاصفة بسبب ضعف أساساته.

إن تجربة محمد علي التحديثية في مصر تعد مثالا جيدا على أن قوة الدول في قوة شعوبها، وبأن القوة الحقيقة للدول لا تقاس بعدد الجيوش وأسلحتها، وإنما بعقول وإبداع وتفاني وإخلاص شعوبها. وهذا لا يمكن أن يتأتى لأي دولة لا تولي اهتماما بترقية وخدمة شعبها ولا تعمل على تعليمه وتربيته ورعاية مختلف شؤونه في الحياة بالشكل الذي يجعله يشعر بانتمائه للوطن، وتحرك فيه الرغبة للحفاظ على هذا الوطن وحمايته وخدمته والوفاء له مهما كانت الظروف والتحديات.

الملاحق

الملحق رقم (1):

صورة محمد علي باشا[1]

محمد علي باشا

[1]: محمد صبري، مرجع سابق، ص16.

الملحق رقم: 2)[1]

صورة رفاعة الطهطاوي زعيم الحركة الفكرية

[1]: جمال الدين الشيان، المرجع السابق، ص 117.

الملحق رقم (3):[1]

جدول يوضح النفقات المالية لديوان المدارس وفروعه في عهد محمد علي

بارة	فرشا	
—	٣٨,٦٧٦	لديوان المدارس .
٨	١١,٨٨٣	لمدرسة الألسن .
٨	٣٩,٦٢٠	» الفرسان .
٣٥	٣٠,٩٤٩	» المدفعية .
٣٤	٢٧,٩٦١	» المشاة .
٣٤	١٩,٠٩٠	» الطب البشرى .
١١	٤,٧٢٢	» » البيطرى .
٧	٢٨,٠٢٧	» المهندسخانة .
—	١١,٠٠٠	» المحاسبة .
٢٩	٣٧,٤٢٤	للمدرسة التجهيزية .
—	١٠,٢٢٩	للاسطبل الكبير بشبرا .
٦	٢٥٩,٥٨٥	

[1]: احمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 111.

الملحق رقم (4):[1]

فرمان تولية محمد علي حكم مصر

فرمان محمد على على ولاية مصر

وفى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ (٢١ القعدة سنة ١٢٥٦) صدر فرمان همايونى بموافقة مندوبى الدول الأربع المتحدة المجتمعين فى لوندرا بهيأة مؤتمر بتولية محمد على على مصر .

الفرمان الهمايونى بتولية محمد على واليا على مصر

وإليك أهم ماتضمنه الفرمان من النصوص وهو فى صيغة الخطاب لمحمد على باشا :

« . . . تثبيتكم فى الحكومة المصرية المبينة حدودها فى الخريطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الأعظم وقدمنحناكم فضلا على ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتى بيانها :

(١) «متى خلا منصب الولاية المصرية تعهد الولاية إلى من تنتخبه سدتنا الملوكية من أولادكم الذكور وتجرى هذه الطريقة نفسها بحق أولاده وهلم جرا .

(٢) «إذا انقرضت ذريتكم الذكور لا يكون لأولاد نساء عائلتكم الذكور حق أى كان فى الولاية وإرثها .

(٣) «ومن وقع عليه من أولادكم الانتخاب لولاية مصر بالارث بعدكم يجب عليه الحضور إلى الاستانة لتقليده الولاية المذكورة .

(٤) «إن حق التوارث الممنوح لوالى مصر لا يمنحه رتبا ولا لقباً أعلى من رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولا حقاً فى التقدم عليهم بل يعامل بذات معاملة زملائه .

(٥) «جميع العهود المعقودة أو التى ستعقد فى مستقبل الأيام بين بابنا العالى والدول المتحابة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها فى ولاية مصر أيضاً .

[1]: جورج يانغ، المرجع السابق، ص 148.

(٦) «كل ماهو مفروض على المصريين من الأموال والضرائب يجرى تحصيله باسمنا الملوكى . ولكى لا يكون أهالى مصر وهم من بعض رعايا بابنا العالى معرضين للضار والأموال والضرائب غير القانونية يجب أن تنظم تلك الأموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة ترتيبها فى سائر الممالك العثمانية .

(٧) «ربع الايرادات الناتجة من الرسوم الجمركية ومن باقى الضرائب التى تحصل فى الديار المصرية يتحصل بتمامه ولا يخصم منه شىء ويؤدى إلى خزينة بابنا العالى العامرة .

(٨) «الثلاثة أرباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بمصاريف التحصيل والادارة المدنية والجهادية وبنفقات الوالى وبأثمان الغلال الملزومة مصر بتقديمها سنويا إلى البلاد المقدسة (مكة والمدينة) .

(٩) «يبقى هذا الخراج مستمراً دفعه من الحكومة المصرية بطريق تأديته المشروحة مدة خمس سنوات تبتدىء من عام ١٢٥٧ أى من يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٤١ .

(١٠) «ينظر فيما بعد فى تعيين لجنة مراقبة وملاحظة للوقوف على مقدار الايرادات السنوية والطرق المستعملة فى تحصيل العشور وباقى الضرائب .

(١١) «تكون النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهانى معادلة للنقود المضروبة فى ضربخاناتنا العامرة بالاستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من قبيل هيئتها وطرزها .

(١٢) «يكفى أن يكون لمصر فى أوقات السلم ١٨٠٠٠ من الجند للمحافظة فى داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدى ولا يتكم هذا العدد . ولكن حيث أن قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالى كأسوة قوات المملكة العثمانية الباقية فيسوغ أن يزاد هذا العدد فى زمن الحرب بما يرى موافقا فى ذلك الحين .

(١٣) «تتبع أيضاً فى مصر القاعدة الجديدة المتبعة فى كافة ممالكنا بشأن الخدمة العسكرية بأن يستبدل الجند بعد الخدمة مدة خمس سنوات بغيرهم من العساكر الجديدة .

الملحق رقم (5):[1]

فرمان تولية محمد علي باشا حكم السودان

فرمان الولاية على السودان

وفى نفس اليوم الذى صدر فيه الفرمان السالف الذكر (أى فى يوم ١٣ فبراير سنة ١٨٤١) صدر فرمان شاهانى آخر بتولية محمد على واليا على السودان . وإليك أهم ماورد فيه وهو أيضا فى صيغة الخطاب .

(١) « . . . وقد قلدتكم فضلا عن ولاية مصر ولاية مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر ولكن بغير حق التوارث . فبقوة الاختيار والحكمة التى امتزتم بها تقومون بادارة هاته المقاطعات وترتيب شؤونها بما يوافق عدالتنا وتوفير الأسباب الآيلة لسعادة الأهلين .

(٢) « عليكم أن ترسلوا فى كل سنة قائمة إلى بابنا العالى حاوية بيان الايرادات السنوية جميعها .

ولعل المادة الآتية من أهم مواد ذلك الفرمان فانها ترمى إلى قطع دابر النخاسة طبقاً لأوامر الشرع الاسلامى الحنيف وهى :

(٣) « حيث أنه يحدث من وقت لآخر أن تهجم الجنود على قرى المقاطعات المذكورة فيأسرون الفتيان من ذكور وأناث ويبقونهم فى قبضة يدهم لقاء رواتبهم ، وحيث أن هذه الأمور مما تفضى معها الحال ليس فقط لانقراض أهالى تلك البلاد وخرابها بل أنها=

[1]: المرجع نفسه، ص 150.

الملحق رقم (6):[1]

جدول يوضح اهم المدارس وتاريخ تأسيسها في عهد محمد علي باشا

إسم المدرسة	تاريخ تأسيسها	اسم المدرسة	تاريخ تأسيسها
مدرسة الموسيقى العسكرية	١٨٢٤	مدرسة طب الحيوان	١٨٣١
« الخرية فى قصر العنى	١٨٢٤	« التعدين	١٨٣٤
« الطب والصيدلة	١٨٢٧	« الهندسة	١٨٣٤
« الكيمياء العملية	١٨٢٩	« الزراعة	١٨٣٧
« المشاة	١٨٣١	« الولادة	١٨٣٧
« الفرسان	١٨٣١	«الادارة الملكية والحسابات	١٨٣٧
« الطوبجية	١٨٣١	« الألسن والترجمة	١٨٣٧
« البحرية	١٨٣١	« الصنائع والفنون	١٨٣٩

[1]: جورج يانغ، المرجع السابق، ص 100

الملحق رقم (7):[1]

صورة أعضاء البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا الى باريس

[1]: المرجع نفسه، ص 98.

الملحق رقم (8):[1]

معاني الرتب العسكرية واهم مرتباتها الشهرية

عـــدد	الرتب	المعـــنى	المرتب
١	أومباشى	رئيس عشرة	٢٥
٢	چاويش	—	٣٠
٣	باشچاويش	—	٤٠
٤	صول قول أغاسى	معاون اليسار	٦٠
٥	ملازم ثان	المعاون الثانى للرئيس	٢٥٠
٦	ملازم أوّل	« الأوّل «	٣٥٠
٧	يوز باشى	رئيس مائة	٥٠٠
٨	صاغقول أغاسى	معاون اليمين	١٢٠٠
٩	بمباشى	رئيس ألف	٢٥٠٠
١٠	القائمقام	الذى ينوب عن الميرالاى	٣٠٠٠
١١	الميرالاى	أمير الألاى	٨٠٠٠
١٢	ميرلواء	أمير اللواء	١١٠٠٠
١٣	ميرميران	أمير الأمراء	١٢٥٠٠
١٤	سر عسكر	الرئيس العام للجيش وقائد القوّاد	— (*)

[1]: عمر طوسون، المرجع السابق، ص 41.

قائمة المصادر والمراجع

1- المراجع:

1- احمد هريدي صلاح: الحرف والصناعات في عهد محمد علي، دار المعرفة، القاهرة 1985.

2- أحمد هريدي صالح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ج 2، ط 1، الإسكندرية، د س.

3- الأيوبي إلياس، محمد علي باشا، سيرته وأعماله وآثاره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014.

4- اسماعيل سرهنك: من حقائق الاخبار عن دول البحار، ج 2، ط 2، المطبعة الاميرية، البولاق، 1894.

5- اسماعيل سراج الدين: تحديث مصر في عهد محمد علي، مكتبة الاسكندرية، مصر 2007.

6- بدوي جمال: محمد علي واولاده، بناة مصر الحديثة، مكتبه الاسرة .1999.

7- تاجر جاك، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

8- جورج يانج، تر علي أحمد شكري، صفحات من تاريخ مصر من عهد المماليك إلأى حكم إسماعيل، مكتبة مديولي، القاهرة، 1960.

9- بيضون جميل، شحادة الناطور: تاريخ العرب الحديث، دار الامل للنشر والتوزيع، 1992.

10- رفعت محمد: تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة، الاميرية، القاهرة، 1934.

11- صبري محمد: تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث، ط2، مكتبة مديولي القاهرة 1996.

12- صبري محمد: تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم، مطبعه دار الكتب المصرية، ط،1 القاهرة، 1926.

13- سلوى العطار، التغييرات الاجتماعية في عهد محمد علي، ط1، دار النهضة العربية للطبع والنشر، القاهرة، 1989.
14- الرافعي عبد الرحمان، عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة، 1989.
15-الشيال جمال الدين: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، مصر 1951.
16-جرجي زيدان، مصر العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.
17-طوسون عمر البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهد عباس الاول وسعيد، مطبعة صلاح الدين، الاسكندرية، 1934.
18-طوسون عمر:صفحه من تاريخ مصر عهد محمد علي، الجيش البري والبحري مكتبه مديولي، ط2، القاهرة، 1996.
19-عبد الكريم عزت احمد: تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبه النهضة المصرية، مصر، 1938.
20-عمر عبد العزيز عمر واخرون: دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، في 2003.
21-غربي الغالي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانيةوالمشرق العربي(1288– 1926)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2،الجزائر ،2011
22-عمر الاسكندري واخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، مكتبه المديولي القاهرة 1996.
23-محمد شيارو عصام، المقاومة الشعبية المصرية الاحتلال الفرنسي، والغزو البريطاني، دار التضامن،من بيروت، لبنان، 1992.
24-محمد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الاوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، القاهرة، 2001.

25-محمد فريد بك، البهجة التوثيقية في تاريخ مؤسس الأسرة الخديوية، المطبعة الأميرية، مصر، 1958.
26-محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر(1801-1811)، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي، د م، 2017. (كتاب الكتروني)

المقالات:

1-سامي صالح الصياد:"محمد علي باشا والنهضة العلمية في مصر1805/ 1848م"**مجله الدراسات التاريخية والحضارية**، المجلد، 11 العدد 42 2019.
2-نبراس خليل ابراهيم: " النهضة الصناعية في عهد محمد علي باشا 1805/ 1848"**مجلة دراسات في التاريخ والاثار**، العدد 73، كانون الثاني، 2020.

المذكرات الجامعية:

1-بوسته سميه محمد علي باشا والحركة التعليمية واثارها في النهضة 1805/ 1848م مذكره لنيل شهادة ماستر في تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، اشراف ابراهيم مرزقلال، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018، 2019.
2-سعد سعود فايزة: حملة نابليون بونابرت على مصر ونتائجها 1798 1805م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، اشراف بن حامد سعدية كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم تاريخ جامعه محمد بوضياف مسيله2019/2018.
3-عائشة فقير: اصلاحات محمد علي باشا في مصر بين القبول والرفض 1805) 1848)، مذكره لنيل شهاده الماستر، في تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، تحت اشراف أم الخير عثماني، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، 2016 2017.